

د. محمد سيد أحمد المسير

مكتبة الصفا

تيسير العقيدة بشرح الخريدة

للشيخ

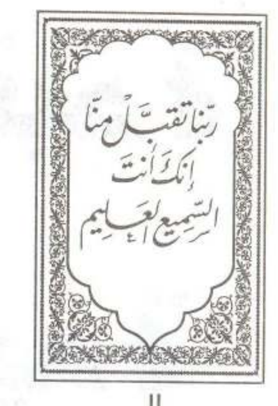
أحمد بن محمد الدردير

المتوفي ١٢٠١هـ

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

مكتبة الصفا





الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٣٣٧٢

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة ت: ٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر ت: ٥١٤٧٩٧٤/٠١٠١٤٣١١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله رب العالمين ونصلي ونسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فيسرني أن أقدم لأبنائي وبناتي المبتدئين في دراسة علم التوحيد هذا الشرح لمنظومة شعرية تحوي أصول الدين وقواعد العقيدة، وتسمى «متن الخريدة البهية في العقائد التوحيدية» للشيخ أحمد بن محمد الدردير المتوفي سنة ١٢٠١هـ.

وحاولت أن أقدمها بأسلوب ميسر، وعبارة واضحة وعرض منظم، وكان لي مع هذا المتن مواقف هي:

١- قسمت المتن إلى أربعة أقسام: الإلهيات والنبوات والسمعيات، وطهارة القلب والسلوك.

وأتبعت كل قسم بأسئلة تستوعب مسائل القسم وقدمت نماذج لإجابة بعض الأسئلة ليحتذي بها الطلاب.

٢- مهدت لشرح المتن بتعريف علم التوحيد وذكر موضوعاته وفضله ونظام التأليف القائم على المتن والشرح والحاشية و التعليق.

٣- ذكرت الأبيات المتعلقة بمسألة واحدة ثم وضحت بعض ألفاظها إن اقتضى الأمر، ثم شرحت المسألة العقدية المرتبطة بهذه الأبيات.

٤- بعض الأبيات كانت مقحمة بين أبيات تتعلق بمسألة واحدة فأخرتها إلى ما يناسبها من المسائل.

٥- بعض الأبيات آثار قضايا فلسفية ومذهبية ليس هذا محل ذكرها للمبتدئين فأغفلتها، وكانت ثلاثة أبيات هي:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة	فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة	فذاك بدعي فلا تلتفت
ومن يقل فعل الصلاح وجبا	على الإله قد أساء الأدبا

وأدعو الله تعالى أن يجد أبناؤنا وبناتنا في هذا الشرح الموجز ما ينمي في عقولهم ملكة العلم، ويزكي في قلوبهم عقيدة التوحيد، ويدفعهم إلى مزيد من الاستقامة على طاعة الله عز وجل..

القاهرة في { ٢٦ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ.
٢٦/٦/٢٠٠٣م }

أ.د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين
جامعة الأزهر بالقاهرة

•• تمهيد ••

- تعريف علم التوحيد.
- موضوعات علم التوحيد.
- فضل علم التوحيد.
- نظام التأليف.
- نماذج للمتون.

تعريف علم التوحيد

هو علم يشرح العقائد الإسلامية، ويقيم الأدلة العقلية والنقلية عليها، ويرد على الشبهات التي يثيرها المخالفون..

والعقائد تضمنتها الآية الكريمة:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي صحيح الحديث قال رسول الله ﷺ:

«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

فطالب العلم يدرس هذه العقائد ويعرف الأدلة عليها، وإذا حاول بعض المخالفين لهذه العقائد أن يعترض عليها وينقدها فإن طالب العلم يهيؤ بدراسة مستفيضة لكي يرد عليه ويبين له فساد رأيه وبطلان حجته..

موضوعات علم التوحيد:

قسم العلماء موضوعات هذا العلم إلى جوانب ثلاثة:

١- الإلهيات وتبحث ما يجب وما يجوز وما يستحل في حق الله تعالى كوجوده تعالى ووحدانيته وصفاته الحسنى وأفعاله الحكيمة.

٢- النبوات وتبحث ما يجب وما يجوزوما يستحيل في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفيها دراسات عن المعجزات والكتب المنزلة وعصمة الرسل وكرامة الأولياء.

٣-السمعيات وهي الأمور التي نتلقاها بالسماع عن المعصوم ﷺ، وتدور حول الملائكة والجن والبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار.

فضل علم التوحيد:

- علم التوحيد أشرف العلوم، فهو أساس العلوم الشرعية كلها، فلولا الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ما كان تفسير ولا حديث ولا فقه.

فلا تفسير بغير عقيدة أن الله هو الذي أنزل القرآن.

ولا حديث بغير عقيدة أن محمداً رسول الله.

ولا فقه بغير عقيدة أن المعبود بحق هو الله جل جلاله.

- الإسلام دين العقل، والعقيدة لا بد أن تنشأ عن علم لقوله جل شأنه **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [محمد: ١٩] وعلم التوحيد هو الذي يقيم الأدلة على العقيدة.

- تبليغ الدعوة واجب على العلماء فلابد أن يكون العلماء ذوي فطنة، ولديهم ملكة الاستدلال، ويستطيعون تقديم العقيدة بدلائلها.

- أعداء الدعوة يفترون على الله الكذب ويطعنون في أصول الدين فلابد أن يستعد العلماء لمواجهة هذه الشبهات بالمنطق والحجة، وهذه هي مهمة علم التوحيد.

نظام التأليف:

أبدع المسلمون حضارة لم يشهد التاريخ مثلها علما وأخلاقًا واجتماعًا، وبلغت ذروة الحضارة في العهد العباسي، وكانت بغداد واحة الدنيا كلها حتى جاء التتار وقضوا على الخلافة العباسية وأحالوا ماء دجلة والفرات إلى دماء، فقتلوا العلماء، وجعلوا من كتب العلم جسورًا على الأنهار يمشون فوقها ويحرقون ما بقى منها وكان ذلك سنة ٦٥٦ هـ.

فانزوى العلماء إلى القاهرة وبعض المراكز الأخرى، وفروا بما استطاعوا حمله من كتب العلم، فشاع في العصر المملوكي منهج كتابة العلوم على نمط جديد هو المتن والشرح والحاشية والتعليق..

ففي كل علم وضعت متون تهتم بصياغة أهم موضوعات العلم، ومسائله في صيغ نثرية أو شعرية تمتاز بالاختصار الشديد حتى يسهل حفظها..

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الشروح وتمتاز بالتوسع في عرض قضايا العلم وتفاصيل الأحكام والآراء والمذاهب... ويلي ذلك مرحلة ثالثة هي الحواشي التي توضح نقطة معينة أو تزيد بسط مسألة أو تضيف إشارة إلى دليل جديد أو مذهب آخر..

وتختم هذه المرحلة بالتعليقات وهي نتاج مدارسة العلم من خلال مراحله السابقة، فتطرأ على العالم أو الدارس بعض إضافات يسيرة.

نماذج للمتون:

كل العلوم العربية والشرعية لها متون مشهورة يحفظها طلاب العلم..

وعلى سبيل المثال:

علم التوحيد:

- أم البراهين في العقائد لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة ٨٩٥ هـ.
- جوهرة التوحيد لبرهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني المتوفى سنة ١٠٤١ هـ.
- الخريدة البهية في العقائد التوحيدية لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير المتوفى سنة ١٢٠١ هـ.

مصطلح الحديث:

- قصيدة غزلية في ألقاب الحديث لشهاب الدين أحمد بن فرح الأشبيلي.
- المنظومة البيقونية لطه بن محمد البيقوني.

أصول الفقه:

- جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن أبي الحسن السبكي.

التجويد:

- الجزرية أو المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه لشمس الدين محمد ابن محمد الجزري.
- تحفة الأطفال لسليمان الجمزوري.
- إغاثة الملهوف في مخارج الحروف لإبراهيم بن سعد.

المنطق:

- السلم المنورق[1] لعبد الرحمن بن الصغير الأخضري.
- إيساغوجي لأثير الدين المفضل بن عمر الأبهري.

النحو والصرف:

- متن الآجرومية لمحمد بن داود الصنهاجي.
- ألفية في النحو والصرف لمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي.

وانتشر هذا اللون في الحساب والإملاء حتى وصل حديثًا إلى اللغة الإنجليزية.

يقول الأخضري في رسالته عن علم الحساب:

الجمع ضم عدد لعدد ... لكي تعده بلفظ مفردِ

فتجمع الآحاد للآحاد ... وهكذا الباقي على التمادي

ويقول البيلاوي في بهجة الطلاب:

الهمز في اللفظ تكون أولا ... ووسطًا وآخرًا ياذا العلا

فإن تكن في أول فهي ألف ... نحو أجب أخاك وأكرم وانعطف

وفي اللغة الإنجليزية يقول أحدهم:

و«سي» لبحر وبمعنى ينظر ... وباستريت. شارع يفسر

يقصد Sea بحر

See ينظر

Street شارع

* * *

(١) المزين والمزخرف.

•• القسم الأول ••
الإلهيات

- مقدمات.
- الصفات الواجبة لله تعالى.
- تعلق صفات المعاني.
- القضاء والقدر والرؤية.

•• المبحث الأول ••
مقدمات

- التعريف بالناظم.
- أنواع الحكم.
- المعرفة والتكليف.

مقدمة المنظومة

الأبيات:

يقول راجي رحمةَ القدير	أي (أحمدُ) المشهور بالدرديرِ
الحمد لله العلي الواحدِ	العالم الفرد الغني الماجدِ
وأفضل الصلاة والتسليم	على النبي المصطفى الكريم
وآله وصحبه الأطهارِ	لا سيما رفيقه في الغارِ
وهذه عقيدة سنيةْ	سميتها الخريدة البهيةْ
لطيفة، صغيرة في الحجم	لكنها كبيرة في العلم
تكفيك علما إن ترد أن تكتفي	لكنها بزبدة الفن تفي
والله أرجو في قبول العملِ	والنفعَ منها ثم غَفْرَ الزللِ

التوضيح:

- قوله: أي أحمد المشهور بالدردير - يشير إلى اسم المؤلف فهو أحمد الدردير.

- قوله: لا سيما رفيقه في الغار - يشير إلى الصديق أبي بكر رضي الله عنه فهو رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور ليلة الهجرة.

- قوله: سميتها الخريدة البهية - يشير إلى اسم المنظومة هذه فقد سماها المؤلف: الخريدة البهية.

والخريدة هي اللؤلؤة التي لم تثقب، فقد شبه المؤلف هذه الأبيات المنظومة في علم التوحيد بلؤلؤة مضيئة بجامع النفاسة في كل، ووصف الخريدة بأنها بهية أي فيها حسن وجمال وضياء.

- قوله: لأنها بزبدة الفن تفي - يشير إلى أن هذه المنظومة الصغيرة الحجم تضم علمًا غزيرًا لو أريد تفصيله فهي موجز علم التوحيد.

فالمنظومة تتكون من واحد وسبعين بيتًا.

والزبدة - بضم الزاي الخلاصة.

والفن واحد الفنون وهي الأنواع والمراد بالفن هنا علم التوحيد.

التعريف بالمؤلف:

الناظم أو المؤلف هو الشيخ أحمد بن محمد الدردير، ولد سنة ١١٢٨ هـ وتوفي ليلة الجمعة لثمان خلون من ربيع الأول سنة ١٢٠١ هـ ودفن بمشهده المشهور بالكعكيين في القاهرة.

وهو عالم ابن عالم، فأبوه كان رجلاً صالحًا، عالمًا متقنًا للقرآن، فقد بصره في آخر عمره، فاشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله تعالى، فحفظ القرآن على يديه خلق كثير، ومات شهيداً بالطاعون سنة ١١٣٨ هـ[1].

* * *

(١) نقلاً من حاشية الشيخ الصاوي على شرح الشيخ الدردير لمنظومته.

أنواع الحكم

الأبيات:

أقسام حكم العقل لا محالة	هي الوجوب ثم الاستحالة
ثم الجواز ثالث الأقسام	فافهم منحت لذة الأفهام
فالواجب العقلي ما لم يقبلِ	الانتفا في ذاته فابتهلِ
والمستحيل كل ما لم يقبلِ	في ذاته الثبوت ضد الأولِ
وكل أمر قابل للانتفا	وللثبوت جائز بلا خفا

الشرح:

الحياة كلها قائمة على أحكام، قد نتلقاها من الشرع وقد يتفق الناس عليها بعقولهم التي منحها الله لهم، فالعقل أعدل الأشياء قسمة بين البشر.

وقد تصدر الأحكام عما ألفه الناس واعتادوه في مآكلهم ومشاربهم ومسالك حياتهم.

والأحكام الشرعية نستخدمها في المأمورات والمنهيات الشرعية وبخاصة في علم الفقه.

والأحكام الشرعية خمسة هي:

الواجب كقولنا: الصلاة واجبة.

المندوب كقولنا: السواك سنة.

الحرام كقولنا: الزنا حرام.

المكروه كقولنا: إفراد يوم الجمعة بالصيام مكروه.

والمباح: كالأكل والشرب والسفر والإقامة.. إلخ

فهذه الأحكام مبنية على نصوص الشرع.

أما علم التوحيد فالأحكام فيه عقلية في المقام الأول، ولتفصيل تلك

الأحكام نقول:

كلمة الحكم تعني: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، فإذا قلنا: «محمد رسول الله» فهنا حكم فيه إثبات الرسالة لمحمد ﷺ، وإذا قلنا: «مسيلمة ليس بنبي» فهنا حكم وهو نفي النبوة عن مسيلمة الكذاب.

والحكم قد يكون عقليًا أو شرعيًا أو عاديًا، فالحكم العقلي يكون الحاكم به هو العقل الإنساني الراشد. والحكم الشرعي يكون الحاكم به هو الشرع الإلهي. والحكم العادي يكون الحاكم به هو العادة التي اعتادها الناس.. وإليك مثالاً لكل نوع:

الله موجود:

هذه جملة فيها إثبات الوجود لله تعالى، وهذا الحكم الثبوتي مبني على العقل الذي نظر في العالم حوله وأدرك أنه حادث، وُجد بعد عدم، فلابد له من محدث موجود، وذلك المحدث الموجود هو الله تعالى.

الصلاة واجبة:

هذه جملة فيها إثبات الوجوب للصلاة، وهذا الحكم الثبوتي مبني على الشرع؛ لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ [البقرة: ٤٣].

التفاح لذيذ:

هذه جملة فيها إثبات اللذة للتفاح، وهذا الحكم الثبوتي مبني على العادة التي تكررت، فقد أكل الإنسان التفاح مرات عديدة فوجده لذيذاً.

* * *

أقسام الحكم العقلي:

هناك أحكام عقلية تستعمل كثيراً في دراسة علم التوحيد، فنقول مثلاً: هذا واجب، أو هذا مستحيل، أو هذا جائز. فمذا يراد بهذه الألفاظ؟

الواجب العقلي:

هو الثابت الذي لا يتصور العقل عدمه، أي أنه موجود لا يعتريه عدم، مثل

قولنا: الله موجود، فوجود الله تعالى واجب عقلي، أي يحكم العقل بثبوت الوجود الأزلي الأبدي لله تعالى، ولا يمكن للعقل أن يتصوره معدومًا في لحظة من اللحظات.

المستحيل العقلي:

هو المنفي الذي لا يتصور العقل ثبوته، أي أنه معدوم لا يعتريه الوجود أبدًا، مثل قولنا: «للعالم إلهان»، فالعقل يحكم بأن وجود إلهين مستحيل، ولا يمكن في وقت من الأوقات أن يتواجد هذا الشريك، فوجوده مستحيل أزلاً وأبدًا.

الجائز العقلي:

هو الذي يقبل الثبوت تارة والنفي أخرى، أي أنه يمكن أن يوجد في وقت وأن يعدم في وقت آخر، فوجوده ليس واجبًا وعدمه ليس مستحيلاً، مثل قولنا: «إبراهيم موجود»، فهذا الحكم بالوجود على إبراهيم هو جائز عقلاً؛ لأنه كان معدومًا فوجد، ثم إن وجوده ينتهي بالموت والعدم..

فهذا الحكم جائز عقلاً، وقد نسميه ممكنًا عقلاً.

* * *

المعرفة والتكليف

الأبيات:

وواجب شرعًا على المكلفِ	معرفة الله العلي فاعْرِفِ
أي يعرف الواجب والمحالا	مع جائز في حقه تعالى
ومثل ذا في حق رسل اللهِ	عليهم تحية الإلهِ

الشرح:

١ - المعرفة:

بدأ المؤلف يقدم الواجب الشرعي في جانب العقيدة، فأكد أن هذا الواجب هو معرفة الله تعالى، ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقه جل شأنه، ومعرفة الرسل عليهم السلام ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

فالمعرفة واجبة ونعني بها:

الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل.

فالإنسان يجب عليه أن يعتقد مثلاً أن الله تعالى واحد أحد، ولا شريك له في ملكه.

هذا الاعتقاد لابد أن يكون جازمًا، تتزحزح الجبال، ولا يتزحزح، وهذا الجزم لابد أن يكون مطابقًا للواقع فإن خالف الواقع فلا يعتد به، فمن اعتقد أن عيسى عليه السلام إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة فهذا الاعتقاد الجازم اعتقاد فاسد لا قيمة له لأنه يخالف الواقع وهو أن الله إله واحد أحد.

وهذا الاعتقاد الجازم المطابق للواقع لابد أن يكون مبنيًا على الأدلة والبراهين.

فالمعرفة إذا لم تكن اعتقادًا جازمًا فهي شك، وهو التردد بين الشيئين، والشك في العقائد كفر.

وإذا لم تكن المعرفة مطابقة للواقع فهي جهل، والجهل لا يغني من الحق شيئًا، فإن صاحب الجهل مراء وجدل فهو جهل مركب، لأن صاحبه جاهل ويجهل أنه جاهل.

وإذا لم تكن المعرفة عن دليل تكون تقليدًا، وهو الأخذ بقول الغير بلا دليل، والتقليد مرفوض في العقائد، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.

[محمد: ١٩]

فالعقائد لابد فيها من العلم.

ولما كانت الأدلة التفصيلية ورد الشبهات لا يتيسر لكافة الناس، فإن العلماء قالوا: إن المعرفة الإجمالية واجبة على كل مكلف بمعنى أن يُسأل المرء عن دليله على وجود الله تعالى فيقول: هذا العالم الفسيح، أو خروج النبات من الأرض، أو وجود الإنسان، أو طلوع الشمس والقمر .. إلخ

ويكتفى بذلك من غير بيان لدقائق الصنع وغرائب التدبير، ومن غير قدرة على دفع ما يثيره الخصوم..

وإذا كان الإنسان أهلاً للبحث والنظر وجب عليه تفصيلاً معرفة العقائد بدلائلها وبراهينها.

فالمعرفة التفصيلية حق العلماء، والمعرفة الإجمالية حق العامة..

٢ - المكلف:

المكلف هو الإنس والجن فقط، أما الملائكة فمعصومون، مفطورون على الطاعة، وليس لهم حرية الاختيار بين الطاعة والمعصية، وليس لهم جزاء من ثواب وعقاب.

فالملائكة عباد مكرمون.

أما باقي الكائنات فليست خاضعة للتكليف، ولم تتحمل أمانة المنهج الإلهي، ولم يمنحها الله العقل والبيان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والمكلف هو البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة على وجهها الصحيح.

فمن كان دون البلوغ فليس مكلفًا.

ومن كان بلا عقل فليس مكلفًا.

قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الحديث: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يُفيق**».

وإذا كان المكلف بالغًا عاقلاً، ولم يعرف دعوة الحق معرفة واضحة جلية، ولم تقدم له تقديمًا يشرحها شرحًا وافيًا فليس مكلفًا شرعًا ولا يؤاخذه الله تعالى على ما يعتقد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

* * *

أسئلة

١ - عرف علم التوحيد واذكر موضوعاته وبيّن فضله..

٢ - اشرح هذه المصطلحات: الإلهيات - النبوات - السمعيات..

٣ - ما معنى كلمة الخريدة؟ ومن المؤلف لهذا المتن؟

٤ - ما معنًى كلمة «الحكم»؟ وما أقسام الحكم؟

٥ - عرف الحكم العقلي واذكر أقسامه..

٦ - اذكر تعريف كل من: الواجب العقلي - المستحيل العقلي - الجائز العقلي - ومثل لكل نوع بمثال واحد..

٧ - ما الطريق إلى الإيمان الصحيح؟

٨ - ذكر العلماء أن المعرفة هي: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل، اشرح هذا التعرف..

٩ - ماذا يعني الشك والجهل المركب والتقليد؟

١٠ - من الذي يتحمل أمانة التكليف الشرعي؟

١١ - هل الملائكة مكلفون؟ ولماذا؟

١٢ - متى يصير الإنسان مكلفًا شرعًا؟

* * *

مثال محلول:

بين نوع الحكم العقلي فيما يلي: الله عالم - يخلق الله الكائنات - عيسى ابن الله - المطر ينزل شتاء - الشمس تطلع نهارًا - النور والظلمة إلهان.

الحكم العقلي	النوع
الله عالم	واجب؛ لأن العقل ينظر في الكون فيرى فيه اتفاقًا وإبداعًا يجعله يوقن أن خالقه لابد أن يكون عالمًا.
يخلق الله الكائنات	جائز؛ لأن العقل يدرك أن الخلق فعل الله، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار فلا يجب عليه سبحانه شيء.
عيسى ابن الله	مستحيل؛ لأن العقل يوقن أن الله لم يلد ولم يولد، وأن عيسى بشر يأكل الطعام، فلا يعقل أن يكون ابن الله حقيقة.
المطر ينزل شتاء	جائز؛ لأن العقل يدرك أن المطر يمكن أن ينزل في أي وقت ويمكن ألا ينزل.
الشمس تطلع نهارًا	جائز؛ لأن العقل يرى شروق الشمس وغروبها وتغيرها، فهي جائزة في وجودها وجائزة في حركتها.
النور والظلمة إلهان	مستحيل؛ لأن العقل يدرك تغيرهما وحدوثهما بعد عدم فيستحيل أن يكونا إلهين.

* * *

مثال آخر:

هل يجوز الشك في العقائد أو الجهل بها أو التقليد فيها؟ ولماذا؟

الجواب:

الشك هو التردد بين الشيئين والشك في العقائد كفر.

الجهل هو عدم المعرفة أو معرفة الشيء غير مطابق للواقع ولابد في العقيدة من المعرفة الصادقة الملائمة للواقع..

التقليد هو الأخذ بقول الغير بلا دليل، وهو مرفوض في العقائد لأن الله تعالى يقول، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.

* * *

•• المبحث الثاني ••
الصفات الواجبة لله تعالى

- حدوث العالم.
- أقسام الصفات.
- دلائل الصفات الإلهية.

حدوث العالم

الأبيات :

ثم اعلمن بأن هـذا الـعـالَمَا ... أي ما سـوى الله العلـي العـالِمَا

من غيـر شـك حـادث مفتقرُ ... لأنـه قـام بـه التـغـيُّـر

حـدوثه وجـوده بعـد العـدَمْ ... وضده هـو المسمـى بالـقِـدَمْ

إذ ظـاهـر بأن كـل أثـرِ ... يهـدي إلـى مـؤثـر فاعتـبرِ

التوضح :

- العـالم - بفتح الـلام - هو ما سـوى الله تعـالى، فكل شيء من الملك والملكوت هو العالم.

- الحادث هو الذي وجد بعد العدم، فلم يكن موجوداً ثم وجد.

- القديم ما ليس له بداية.

- التغـير هو عدم الثبـات على حال واحدة، فـالصحيح قد يكون مـريضاً، والغني قد ينقلب فقـيراً، والصغير يكبر، والشـمس تطلع وتغرب، ودوام الحال من المحال..

- الأثر هو العلامة وبقية الشيء، فالأثر ما تركه المؤثر فهو بقيته وعلامة عليه.

الشرح :

استدل علماء العقيدة على وجود الله تعالى بدليل الحدوث.

ويعنون به أن العالم - وهو مـا سوى الله تعالى - حادث وجـد بعد عدم، وأن موجده هو الله وحده.

ويصوغون الدليل هكذا :

العالم حادث

وكل حادث لابد له من محدث قديم.

إذن فالعالم لابد له من محدث قديم.

والقضيـة الأولى: «العالم حادث» هي صغرى الـقياس من الشكل الأول في علم المنطق.

والقضية الثانية: «كل حادث لابد له من محدث قديم» هي كبرى القياس من الشكل الأول.

والقضيـة الثالثة: «العالم لابد له من محـدث قديم» هي نتيجة القـياس بعد حذف المكرر من القضيتين السابقتين..

والمقدمتان الأولى والثانية نظريتان أي تحتاجـان إلى نظر واستدلال كي نسلم بالنتيجة.

دليل المقدمة الأولى : العالم حادث.

استدل علماء العقيدة على حدوث العالم بالتـغير وقالوا: العالم متغير، وكل متغير حادث، إذن العالم حادث، فنحن نشاهد التغير في الليل والنهار، والحركة والسكون، والحرارة والبرودة، والسواد والبياض، والحياة والموت.. إلخ.

وما قـد نشاهده على حال واحـدة فإن تغيره ممكن وواقع قد يدركه جيل بعدنا، فالجبال الشوامخ ألفناها ثابتة قرونا عديدة وهي الآن تزال وتدمر تدميراً..

وإن العلم الحديث يـثبت أن الكواكب السيـارة يمكن أن تخرج عن مـسارها وتنفجر في أي لحظة..

الإنسان يكون نطفة وعلقة ومضغة وعظامًا، وطفلاً. وشابًا وكهلا..

والذرة تتحول إلى طاقة..

والعناصر تتفاعل، إن تركيب الأكسجين والأيدروجين بنسبة معينة ينتج الماء، وهذا الماء تحت ضغط حرارة معينة يتحول إلى بخار، والبـخار يمكن تكثيفه فيعود ماء.. فكل شيء يتغير..

دليل المقدمة الثانية: كل حادث لابد له من محدث قديم.

هذا الوجود قائم على إبداع وحكمة وإتقان..

وليس معقولاً أن يكون الحادث الذي هو العالم وجد مصادفة فإن المصادفة لا تخلق نظامًا.

وليس يعقل أن يكون الحادث أوجده حادث مثله لأنهما متساويان يجري في أحدهما ما يجري في الآخر، فيحتاج كل منهما إلى محدث قديم وإلا دار الأمر أو تسلسل، وكلاهما باطل.

فالدَوْر توقف شيء على شيء قد توقف على الأول بمرتبة أو مراتب..

فالدَوْر المباشر هو توقف شيء على شيء توقف على الأول.

فإذا ذهبت لاستخراج بطاقة التموين: فقالوا إن استخراج البطاقة يحتاج إلى شهادة الميلاد.

فإذا ذهبت لاستخراج شهادة الميلاد قالوا إنها تحتاج إلى بطاقة التموين.. فما الحل؟

لن أستخرج بطاقة التموين ولن أستخرج شهادة الميلاد، لأن كلا منهما توقف على الآخر..

والدور غير المباشر هو توقف شيء على شيء، وهذا الشيء الثاني توقف على شيء ثالث ثم يتوقف الشيء الثالث على الأول.

فإن حاولت استخراج بطاقة التموين وقالوا لي إنها تحتاج إلى شهادة الميلاد، فأذهب لاستخراج شهادة الميلاد فيقال إنها تحتاج إلى رخصة قيادة السيارة، فأذهب لاستخراج رخصة القيادة فيقال إنها تحتاج إلي بطاقة التموين فما الحل؟

لن أستخرج أيا من هذه الثلاث.

فالدَوْر باطل لأنه يقتضي التقدم والتأخر في لحظة واحدة أو الوجود والعدم في وقت واحد وهذا جمع بين النقيضين محال..

فالدَوْر يقتضي وجود بطاقة التموين أولاً ويقتضي في اللحظة نفسها عدم وجود بطاقة التموين، لأن شهادة الميلاد تحتاج إلى بطاقة التموين فتكون البطاقة مقدمة، والبطاقة تحتاج إلى شهادة الميلاد فتكون بطاقة التموين مؤخرة، فكيف تكون مقدمة مؤخرة في وقت واحد.؟!.

أما التسلسل فهو تعاقب الحوادث في الماضي بلا بداية، فما من حادث إلا وقبله حادث إلى ما لا نهاية.

وهذا باطل لأن ما حصره الوجود فهو حادث له بداية، وهذا يختلف عن حوادث المستقبل لأنها مجرد تخيل، ويمكن للذهن أن يتصور حوادث بعدها حوادث مستقبلا بلا انقطاع.

وكل ما سبق من أدلة على حدوث العالم ووجود الله تعالى يجمعه ثلاث كلمات قصار هي قمة الإعجاز وقوة الحجة والبرهان.

قال تعالى: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ** ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

فالإنسان والكون كله لا يعقل أن يوجد من غير خالق، فالمصادفة لا تخلق نظامًا.

ولا يعقل أن يخلق الإنسان نفسه، فماذا يملك الإنسان حين كان نطفة، وفي ظلمات ثلاث داخل الرحم، وحين استهل صارخًا لا يملك قدرة ولا قوة ولا يدفع عن نفسه أذى ولا يجلب لها نفعًا.

وإذا كان الإنسان عاجزًا عن خلق نفسه فكيف يخلق الكواكب باتساعها، والجبال بشموخها، والحدائق الجميلة بأنواعها، والنبات بأشكاله وألوانه؟!

إن الحقيقة الكبرى التي لا تقبل مراء ولا جدلا، ولا يعتريها شك ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾

[الحج: ٦٢]

* * *

الصفات الواجبة لله تعالى

الأبيات:

فأعلم بأن الوصف بالوجودِ   من واجبات الواحد المعبودِ

وذي تسمى نفسيةْ   ثم تليها خمسة سلبيةْ

وهي القدم بالذات فاعلم والبقا   قيامه بنفسه نلت التقى

مخالف للغير، وحدانيهْ   في الذات أو صفاته العليةْ

ثم المعاني سبعة للرائي   أي علمه المحيط بالأشياءِ

حياته وقدرة، إراده   وكل شيء كائن أرادهْ

كلامه والسمع والإبصارُ   فهو الإله الفاعل المختارُ

وكلها قديمة بالذاتِ   لأنها ليست بغير الذاتِ

ثم الكلام ليس بالحروفِ   وليس بالترتيب كالمألوفِ

الشرح:

٧- صفات الله تعالى:

يجب لله تعالى إجمالاً كل كمال يليق بذاته المقدسة، وكمالات الله لا تتناهي، ولكن العلماء ذكروا على سبيل التفصيل بعض الصفات التي توضح هذا الكمال الإلهي، واتفقوا على ثلاث عشرة صفة هي:

١- الوجود.   ٢- القدم.   ٣- البقاء.

٤- المخالفة للحوادث.   ٥- القيام بالنفس.   ٦- الوحدانية.

٧- القدرة.   ٨- الإرادة.   ٩- العلم.

١٠- الحياة.   ١١- السمع.   ١٢- البصر.

١٣- الكلام.

وزاد بعضهم سبع صفات أخرى هي:

١- كونه قادراً.   ٢- كونه مريداً.   ٣- كونه عالماً.

٤- كونه حيًا.   ٥- كونه سميعًا.   ٦- كونه بصيراً.

٧- كونه متكلمًا.

أقسام الصفات:

إذا قلنا: إن الصفات الواجبة لله تعالى تفصيلاً هي عشرون صفة، فهذه الصفات تنقسم إلى أربعة أقسام حسب مدلولها ومعناها:

١- الصفات النفسية:

يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، والوصف بها غير معلل بعلة، والصفة النفسية واحدة فقط هي الوجود.

فالوصف بالوجود لا يدل على معنى زائد على الذات، فإذا قلنا: «الله موجود»؛ كان المراد إثبات الوجود أو الذات فقط، فالوجود هو نفس الذات.

ثم إن صفة الوجود غير معللة بعلة، أي غير مرتبطة بصفة أخرى واجبة لله تعالى، وذلك حتى تخرج الصفات المعنوية، فإن ثبوتها لله تعالى تابع لثبوت صفات المعاني، فكونه قادراً تابع لثبوت صفة القدرة - كما سيأتي.

٢- الصفات السلبية:

هي التي مفهومها سلب ضدها عن موصوفها، أو ما كان السلب داخلاً في معناها، وهي خمسة: القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.. فإذا قلنا مثلاً: «الله قديم»، فالقدم صفة سلبية؛ لأن معنى القديم: هو عدم أولية الوجود، أو عدم الحدوث، أو لا أول لوجوده، أو ليس لوجوده بداية، فنلاحظ أننا استخدمنا السلب في المفهوم، وهو كلمة «عدم»، «لا»، «ليس»، وهي كلها تعبيرات سالبة، أي نافية.

٣- صفات المعاني:

هي الصفات الدالة على أمر موجود يلحق الذات ويقوم بها، وهي سب
القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، فإذا قلنا: «ا
قادر»، فالقدرة أمر موجود قام بذات الله تعالى، فدل الوصف بالقدرة على ذ
موجودة اتصفت بأمر موجود، فالوصف بكلمة «قادر» يدل على ذات وص
كلاهما موجود.

وزاد بعض العلماء صفة ثامنة من صفات المعاني، سموها صفة الإدراك
يدرك الله تعالى بها الملموسات والمشمومات والمذوقات من غير تشبيه بصفا
البشر، بل كمال يليق بجلال الله وكماله.

ونفى كثير من العلماء هذه الصفة وقالوا: إن إحاطة علم الله تعالى به
الأشياء تكفي عن إثباتها؛ ولأنه لم يرد بصفة الإدراك نص ديني من القرآن المج
أو السنة الصحيحة، وبالتالي فلا نتكلم عن صفة تسمى صفة الإدراك.

٤- الصفات المعنوية:

هي صفات تثبت لموصوفها تبعًا لثبوت صفة أخرى لذلك الموصوف، وه
سبع: كونه قادراً تبعًا للقدرة، وكونه مريداً تبعًا للإرادة، وكونه عالمًا تبعًا للعل
وكونه حيًا تبعًا للحياة، وكونه سميعًا تبعًا للسمع، وكونه بصيراً تبعًا للبصر
وكون متكلمًا تبعًا للكلام، فالصفات المعنوية تابعة لصفات المعاني السبعة.

وهذه الصفات المعنوية محل خلاف بين علماء أهل السنة، ومذهب الإ
أبي الحسن الأشعري: أن الصفات المعنوية ليست بزائدة على صفات المعاني،
هي عبارة عن قيام المعاني بالذات وليس لها ثبوت في الخارج، فمعنى كو
قادراً: اتصاف الله تعالى بالقدرة أو قيام القدرة بذاته تعالى، فليس هناك
الذات والقدرة، وهكذا في باقي الصفات.

فالإمام أبو الحسن الأشعري ينفي الصفات المعنوية ويكتفي بصفات المعاني، وعلى
هذا فمجموع الصفات الواجبة لله تعالى تفصيلاً ثلاث عشرة صفة وليس عشرين صفة

أسئلة

١- عرّف كلاً من: العالم - الحادث - القديم.
٢- اذكر الدليل المنطقي على حدوث العالم.
٣- كيف استدل العلماء على أن العالم له محدث قديم هو الله عز وجل؟
٤- ما الدَّوْر والتسلسل ؟ وما دليل بطلانهما؟
٥- عرّف الصفة النفسية، وكم عددها؟
٦- عرّف الصفة السلبية واذكر عددها.
٧- عرف صفات المعاني وبيّن عددها.
٨- ما رأى العلماء في صفة الإدراك ؟ وما دليلهم ؟
٩- ما الصفات المعنوية ؟ وما عددها ؟ ولماذا اختلف العلماء بشأنها ؟

مثال محلول:

بين نوع كل صفة مما يأتي:
الحياة - الوحدانية - القدم - القدرة - المخالفة للحوادث - الوجود - العلم.

الجواب:
الحياة: صفة معنى.
الوحدانية: صفة سلب.
القدم: صفة سلب.
القدرة: صفة معنى.
المخالفة للحوادث: صفة سلب.
الوجود: صفة نفسية.

دلائل الصفات الإلهية

١- الوجود:

الوجود صفة ذاتية أو نفسية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معـ زائد على الذات..

فصفة الوجود هي نفس الذات لا تزيد وصفًا آخر للذات الأقدس، فـ قلنا: الله موجود، لا نفهم إلا الوجود الإلهي الأعلى فقط.

بخلاف صفة القدرة مثلاً، فالقدرة تدل على شيئين:

١- ذات موجودة.

٢- صفة قائمة بهذه الذات.

وهذا الوجود الإلهي لم يُمنح من أحد، فالله تعالى لم يخلق نفسه ولـ يخلقه غيره، وإلا كان حادثًا، وإنما الوجود الأقدس.. وجود ذاتي..

وهذا الوجود الذاتي نسميه واجب الوجود، فليس وجود الله تعالى حادثًا أ ممكنًا، وليس وجود الله مستحيلاً وإلا لما وُجد لأن المستحيل معدوم لا يقبـ الوجود أصلاً، وما عدا الله فوجوده ممنوح من الله تعالى، فالملك والملكوت أ من آثار قدرة الله عز وجل.

وقد سبق أن تكلمنا عن حدوث العالم وأنه لابد له من محدث قديم هو الـ تعالى..

قال الله جل شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُـ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيـ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَـ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّـ

بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٢ - ٤].

٢- القدم:

صفة سلبية يعني أن وجود الله تعالى بلا بداية وهذا القدم ذاتي أي أنه من طبيعة الذات الإلهية ليس ممنوحًا من أحد..

وهذه الصفة يدخل السلب في مفهومها - كما قلنا من قبل - بمعنى أن تعريف الصفة نقول فيه: عدم أولية الوجود، أو ليس له أول، أو لا بداية لوجوده.

فنجد أننا استخدمنا كلمة «عدم» أو «ليس» أو «لا»، وهذه الصفة واجبة لله تعالى، لأن عدم الاتصاف بها يؤدي إلى حدوث الواجب وهو الله تعالى، وحدوث الواجب مستحيل لأن واجب الوجود هو الثابت الموجود الذي لا يقبل الانتفاء والعدم أصلاً، لا في البداية ولا في النهاية.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وفي صحيح البخاري بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال: **«اقبلوا البشرى يا بني تميم»**.

قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين).

ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: **«اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم»**.

قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، جئنا نسألك عن هذا الأمر.

قال: **«كان الله ولم يكن شيء غيره.. وكان عرشه على الماء.. وكتب في الذكر كل شيء.. وخلق السموات والأرض»**.

قال عمران: فنادى مناد، ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي

يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها».

ففي هذا الحديث يقص عمران بن حصين مشهدًا في حضرة رسول الله ﷺ، لقد دخل عليه بنو تميم فقال لهم: «اقبلوا البشرى»، أي هلموا أعلمكم عملاً صالحًا يصل بكم إلى الجنة ويحقق لكم السعادة الأبدية، لكن القوم ظنوا البشرى مالاً ومآكل ومشارب فطلبوا العطاء العاجل وألحوا في سؤاله.

وفي هذه الأثناء دخل قوم آخرون جاءوا من أجل الهدف السامي ومعرفة الوجود الأعلى، والاستقامة على الحق، فبدأ الرسول ﷺ يشرح الحق ويبين بدء الخلق فذكر أن الله تعالى أول بلا ابتداء وأنه قديم قدمًا ذاتيا، يسبق الأشياء كلها ثم بدأ عملية الخلق الكبرى في الملكوت الأعلى والكون بأجمعه.

٣- البقاء:

صفة سلبية تعني أن وجود الله تعالى لا نهاية له، فوجود الله تعالى لا يعتريه زوال..

لأن الزوال يتنافى مع وجوب الوجود والقدم الذاتي، فمن ثبت له الوجود الواجب والقدم الذاتي غير الممنوح لابد أن يثبت له البقاء الذاتي..

وإذا لم يكن ذلك مسلمًا انقلبت حقائق الأشياء وانهارت كل الأحكام العقلية التي سبق أن شرحناها، فالواجب العقلي لا ينقلب مستحيلاً ولا ممكنًا..

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد:٣].

والآخر هو الذي لا نهاية لوجوده.

وقال جل شأنه: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ويوضح هذه الآية الكريمة ما أخرجه مسلم في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم

يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك.. أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟! ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول: أنا الملك.. أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟!».

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ويقول: أنا الملك.. أين ملوك الأرض؟!».

ومن الآيات الدلة أيضًا على صفة البقاء قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

وقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

٤- المخالفة للحوادث:

صفة سلبية تعني أن الله تعالى لا يشبه شيئًا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، فالإله جل جلاله لا يتنزل إلى درجة المخلوق، والمخلوق لا يتسامى إلى درجة الخالق، فالرب رب والعبد عبد.

ولو كان هناك تشابه بين الخالق والمخلوق لأدى ذلك إلى حدوث الخالق أو قدم المخلوق وكلاهما محال.

فقد سبق أن أثبتنا قدم الخالق وحدوث العالم.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤].

وقال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]

* * *

٥- القيام بالنفس:

صفة سلبية تعني أن الله تعالى غني لا يحتاج إلى سواه، وأن كل ما عداه مفتقر إليه..

ونكرر ما قلنا أن الصفة السلبية يدخل السلب في مفهومها فلا تعرف الصفة إلا بأداة من أدوات السلب، فالله تعالى لا يحتاج إلى سواه أو ليس مفتقرًا إلى غيره، أو لا يساعده أحد ولا يسانده.. إلخ.

ولو كان الله جل شأنه محتاجًا إلى شيء لأدى ذلك إلى النقص في حقه تعالى والنقص في حقه سبحانه مستحيل.

ولو كان محتاجًا لما كان واجب الوجود، ولما كان قديمًا باقيًا لذاته فالاحتياج يتنافى مع ذلك كله.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥].

وقال جل شأنه: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النحل: ١٨].

وقال عز من قائل: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٣].

ويوضح هذه المعاني حديث شريف خرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**[1]..

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني[2] **أهدكم..**

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم..

(١) بتشديد الظاء. وأصله تتظالموا، أبدلت إحدى التائين ظاء وأدغمت في الظاء الأخرى.

(٢) الألف والسين والتاء للطلب أي اطلبوا الهداية مني.

يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم..

يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم..

يا عبادي إنكم لن تبلغو ضُرِّي فتضروني

ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني..

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا..

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا..

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيط[1] **إذا أدخل البحر..**

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

* * *

(١) بكسر الأول وسكون الثاني وفتح الثالث - الإبرة التي يخاط بها فهو اسم آلة.

إذ كل إله مفترضٌ، هو مؤثر، له أثر، وتتعدد الآثار بتعدد المؤثرين، الأثر هنا واحد فيكون الفرض باطلاً، ولا يجوز التعدد..

٢- إن اتفق الإلهان على إيجاد شيء ما استقلالاً، مرتبًا، بأن يوجده واحد من الإلهين مستقلاً عن الآخر، في وقتين متتاليين بحيث يبدأ الأول وينت ثم يبدأ الثاني وينتهي.

هذه الصورة من الاتفاق باطلة لأن الأثر قد وجد بالأول فماذا أوج الثاني؟! فيلزم تحصيل الحاصل..

٣- أي اتفاق بين الإلهين المفترضين على تقسيم العمل أو التعاون أو الع المشترك، كلها صور باطلة لأن الذي يقبل المشاركة والتعاون هو الناقص، والإ منزه عن النقص.

ففرض وجود إلهين يؤدي إلى الفساد الذي هو عدم وجود الكائنات لك الكون والكائنات موجودة بدقة وإحكام وتدبير فيكون الإله واحداً أحداً شريك له.

دليل التمانع:

لو فرضنا وجود إلهين مستجمعين لشرائط الألوهية، واختلفا حول إيج شيء معين، فإما أن ينفذ مرادهما معًا، أو لا ينفذ مرادهما معًا، أو ينفذ مر أحدهما فقط.

وهذه الصور الاحتمالية كلها باطلة لما يلي:

١- إن نفذ مرادهما أصبحنا أمام شيء موجود معدوم في لحظة واحدة لأ أحدهما أراد وجوده والآخر أراد عدم وجوده..

وهذا جمع بين النقيضين محال

٢- وإن لم ينفذ مرادهما معًا أصبحنا أمام إلهين عاجزين عن تنفيذ مرادهم فلا يعقل أن يكونا إلهين.

٣- وإن نفذ مراد أحدهما فقط كان الآخر وهو الذي لم ينفذ مراده عاجزًا فلا يعقل أن يكون إلهًا.

وصدق الله حيث يقول:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وبهذا نكون قد انتهينا من الصفة النفسية وهي الوجود، والصفات السلبية الخمس وهي القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية..

وتبقى سبع صفات تسمى صفات المعاني وهي:

القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

* * *

تعريف صفات المعاني وأدلتها :

عندما نعرف أية صفة من الصفات السبع نذكر أولاً التعريف الخاص ب
المعاني في حد ذاتها ثم نأتي بعد ذلك بما يميز كل صفة عن باقي الصفات.

فالتعريف الخاص بصفة المعاني هو القدر المشترك بين جميع الصفات وت
فيه:

صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى.

ومعنى قولنا: «صفة وجودية»: أنها أمر موجود ثابت محقق، وهذا الا
الموجود «أزلي» أي قديم بلا ابتداء، وهذا الأمر الموجود الأزلي قائم بذات
تعالى، ليس منفصلاً عن الذات ولا يقوم بنفسه، بل هو مرتبط بالذات الأقد

وبعد أن نسوق هذا التعريف العام الذي يشترك في كل صفات المعاني
نضيف التعريف الذي يخص كل صفة على حدة، وبه تتمايز عن غيرها
هكذا:

فالقدرة تعني الإيجاد والإعدام لكل ممكن.

والإرادة تعني التخصيص للممكنات.

والعلم يعني الانكشاف التام.

والحياة تعني صحة الاتصاف بباقي الصفات.

والسمع يعني الانكشاف الذي يغاير انكشاف العلم والبصر.

والبصر يعني الانكشاف الذي يغاير العلم والسمع.

والكلام يعني الدلالة.

عندما نقيم الدليل على هذه الصفات، نذكر أولاً الدليل العقلي القائم على
التأمل في الكون والكائنات، ثم نذكر ثانيًا الدليل النصي القائم على آيات القر
المجيد والأحاديث النبوية الشريفة.

* * *

أولاً: صفة القدرة

التعريف:

قدرة الله تعالى: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق علمه تعالى وإرادته.

شرح التعريف:

نلاحظ أننا جئنا بالقدر المشترك الذي يجمع صفات المعاني كلها وهو:
صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، ثم جئنا بالشيء الذي يخص القدرة
وهو: يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق علمه تعالى وإرادته. وقد
سبق شرح الجزء الأول من التعريف.

أما الجزء الخاص بالقدرة فنقول فيه: إن قدرة الله تعالى تختص بالإيجاد والإعدام للممكنات كلها، ولعلك تذكر أقسام الحكم العقلي (الواجب، والمستحيل، والممكن أو الجائز).

فالشيء الممكن هو الذي يتصور العقل وجوده تارة وعدمه أخرى، فالشمس والقمر، والسماء والأرض، والإنسان والحيوان، والحجر والشجر، وكل شيء في هذا العالم هو ممكن عقلاً؛ لأنه موجود بعد عدم ولحقه التغير، فكل ذلك واقع بقدرة الله تعالى، فالله تعالى هو الذي يمنح الأشياء وجودها أو يسلبه عنها.

الدليل على صفة القدرة لله تعالى:

١- الدليل العقلي:

إذا نظرت إلى ما حولك من أنواع النبات، وأنواع الحيوان، وأنواع الكواكب والأفلاك، وكافة الكائنات، وتأملت وجودها؛ أيقنت أن لها خالقًا هو الله وحده. وهذا الخالق لا بد أن يكون موصوفًا بالقدرة؛ لأن العاجز لا يخلق شيئًا.

٢- الدليل النصي:

قال الله تعالى: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، فهذا النص الشريف يدعونا إلى التأمل والتفكر في خلق الإبل، ورفع السماء، ونصب الجبال، وسطح الأرض، حتى ندرك أن لها خالقًا قادرًا هو الله عز وجل، الذي أبدعت قدرته هذه الكائنات كلها.. وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

* * *

ثانيًا: صفة الإرادة

التعريف:

إرادة الله تعالى: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، تخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة.

شرح التعريف:

الجزء الأول، وهو: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، هو الجزء العام الذي نذكره في تعريف كل صفة من صفات المعاني السبع.

أما الجزء الثاني وهو: تخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة. فهو الذي يميز الإرادة عن باقي الصفات.

وهو يعني أن الله تعالى بإرادته يمنح الكائنات صفات معينة وأوصافًا تحدد وجودها.

والمراد بالأمور المتقابلة: الشيء وضده، كالوجود والعدم، أو العلم والجهل، أو الطول والقصر، أو البياض والسواد، أو الصحة والمرض، أو الغنى والفقر، أو العز والذل، أو الإنجاب والعقم.. إلخ، فالله تعالى بإرادته يختار لفلان من الناس - على سبيل المثال - الوجود بدل العدم، وأن يكون في القاهرة بدلا من الأسكندرية مثلاً، وأن يكون طويلاً بدل أن يكون قصيرًا، وأن يكون أبيض بدلاً من أسود، وأن يكون غنيًا بدلاً من فقير، وهكذا، ويختار الله تعالى لإنسان آخر مواصفات أخرى.

فهذا هو معنى الإرادة.

الدليل على صفة الإرادة لله تعالى:

١- الدليل العقلي:

الإرادة صفة كمال يليق بذاته تعالى، وضدها وهو القهر والإكراه صفة نقص يتنزه عنها الله تعالى، فلو لم يكن الله تعالى مريدًا؛ لكان مكرهًا ومقهورًا،

والله تعالى أكبر من كل شيء فلا يكرهه أحد، ثم إن الإكراه دليل العجز، والعجز على الله تعالى مستحيل لأنه ثبتت له سبحانه القدرة.

٢- الدليل النصي:

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال جل شأنه: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨]. فالله تعالى هو الذي خلق الإنسان وأحكم خلقته وسواه، وشد أسره، أي جعله قويًّا متماسكًا، وهو سبحانه القادر على إفناء البشر واستبدالهم بآخرين متى إراد ذلك، وقال جل شأنه: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

* * *

ثالثًا: صفة العلم

التعريف:

علم الله تعالى: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق إحاطة وانكشاف تام دون سبق خفاء.

شرح التعريف:

سبق أن قلنا: إن تعريف إحدى صفات المعاني يتضمن شيئين: الأول يتعلق بتعريف صفة المعاني نفسها، والآخر يتعلق بالصفة التي نريد أن نعرفها.

فالشق الذي يتعلق بصفة المعاني هو قولنا: علم الله تعالى صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى. والشق الذي يخص صفة العلم هو قولنا: تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق إحاطة وانكشاف تام دون سبق خفاء.

والمراد بالواجبات هنا: الواجبات العقلية التي يحكم العقل بثبوتها ووجودها، وجودًا لا يتصور معه العدم، مثل وجود الله تعالى، فوجود الله تعالى ثابت أزلاً وأبدًا، لا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم.

والمراد بالمستحيلات هنا: المستحيلات العقلية التي يحكم العقل بعدمها عدمًا لا يتصور معه الوجود أبدًا، مثل شريك الله تعالى، فالشريك معدوم أزلاً، ولا وجود له مطلقًا.

والمراد بالممكنات هنا: الممكنات العقلية أو الجائزات العقلية التي يحكم العقل بوجودها تارة وعدمها أخرى، مثل السماء والأرض، والجبال، والإنسان والحيوان وسائر الموجودات التي نشاهدها، فهي جائزة أو ممكنة، بمعنى أنها وجدت بعد عدم، وسيلحقها العدم بعد الوجود.

فصفة العلم الإلهي تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق إحاطة وانكشاف تام دون سبق خفاء، أي أن الله تعالى يعلم ذاته موجودًا واجب الوجود، ويعلم انتفاء الشريك له سبحانه، ويعلم الأشياء كلها في وجودها وعدمها.

وهذا العلم الإلهي دقيق مفصل، لا يغيب عنه شيء.

وهذا العلم الإلهي لم يطرأ على الله تعالى، ولم يستحدث، ولم يوجد بعد خفاء، وإنما هو علم أزلي، قديم بلا بداية.

الدليل على صفة العلم الإلهي:

١- الدليل العقلي:

لقد أدرك الإنسان أن الكون كله مخلوق لله تعالى، وليس هناك أحد يدعي أنه خلق السماء أو الأرض أو شارك في شيء منهما، بل كل ذلك أثر من آثار قدرة الله عز وجل.

ثم إننا إذا نظرنا إلى هذه الكائنات؛ وجدناها قائمة على إبداع وإتقان وإحكام، وكل ما في الوجود خاضع لنواميس دقيقة، ويؤدي وظيفته على أكمل وجه.

وكل فعل هذا شأنه يدل على أن فاعله عالم حكيم، فهذه الكائنات كلها مع ما اشتملت عليه من إبداع تدل على أن خالقها - وهو الله تعالى - عالم كامل العلم، واسع الإحاطة.

٢- الدليل النصي:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

وقال جل شأنه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٨، ٩].

* * *

رابعًا: صفة الحياة

التعريف:

حياة الله تعالى: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، تقتضي اتصافه تعالى بباقي الصفات.

شرح التعريف:

نقول دائمًا في صفات المعاني: إنها صفة وجودية، أي أمر موجود، أزلية أي بلا بداية، قائمة بذات الله تعالى.

ثم نأتي بعد ذلك بالجزء الذي يخص الصفة التي نريد تعريفها، فصفة الحياة تقتضي صحة اتصاف الله تعالى بباقي الصفات، أي أن الاتصاف بالحياة شرط للاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام، فلا يتصور أن يكون الشيء موصوفًا بأنه قادر أو مريد أو عالم وهو غير حي، فصفة الحياة تصحح الوصف بهذه الصفات.

الدليل على صفة الحياة لله تعالى:

١- الدليل العقلي:

الله تعالى خالق الكون بقدرته، ومدبر الكائنات بإرادته، وموصوف بصفات الجلال والكمال.

وكل من اتصف بهذه الصفات لا بد أن يكون حيًا، فالله تعالى يجب أن يكون موصوفًا بالحياة.

٢- الدليل النصي:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جل شأنه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

* * *

خامسًا: صفة السمع

التعريف:

السمع: صفة وجودية أزلية قائمة بذات الله تعالى، ينكشف بها جميع الموجودات انكشافًا تامًا، يغاير الانكشاف بصفتي العلم والبصر.

شرح التعريف:

صفة السمع من صفات المعاني التي تعني أنها صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى - كما سبق أن شرحنا - وصفة السمع تعني لونًا من ألوان المعرفة الإلهية الذي يخالف المعرفة التي ترتبط بالعلم والبصر.

فالله تعالى يسمع جميع الموجودات، أي تنكشف له سبحانه ويعلمها، إلا أن هذا العلم المتعلق بالسمع يختلف عن العلم المتعلق بالبصر، وكلاهما يختلف عن العلم الحاصل بصفة العلم.

والسمع يتعلق بالموجودات فقط، أي أن الله تعالى بصفة السمع تنكشف له الموجودات، وهذه الموجودات قسمان: واجبة، وجائزة، فالموجود الواجب هو الله تعالى. والموجود الجائز هو الكون والكائنات جميعًا.

أما المستحيل فهو عِدم، والعدم لا يُسمع، فصفة السمع لا تتعلق بالمستحيلات.

الدليل على صفة السمع لله تعالى:

نرجئ الدليل إلى الصفة القادمة وهي صفة البصر؛ لأن الدليل فيهما مشترك.

* * *

سادسًا: صفة البصر

التعريف:

صفة البصر: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى، ينكشف بها جميع الموجودات انكشافًا يغاير انكشاف العلم والسمع.

شرح التعريف:

صفة البصر من صفات المعاني، وعند التعريف نأتي بالجزء العام الذي يوضح مفهوم صفات المعاني، ثم نأتي بالجزء الخاص الذي يوضح مفهوم البصر.

فقولنا: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى. هو الجزء العام وقد سبقه شرحه.

وقولنا: ينكشف بها جميع الموجودات انكشافًا يغاير انكشاف العلم والسمع، هو تعريف صفة البصر.

والمعنى أن كلا من صفة العلم وصفة السمع وصفة البصر، تعني الانكشاف والإحاطة والمعرفة، إلا أن لكل صفة معرفة أو انكشافًا يتناسب معها.

فالانكشاف بصفة العلم يغاير الانكشاف بكل من صفة السمع وصفة البصر.

والانكشاف بصفة السمع يغاير الانكشاف بكل من صفة العلم والبصر.

والانكشاف بصفة البصر يغاير الانكشاف بكل من صفة العلم وصفة السمع.

تتعلق صفة البصر بالموجودات فقط، كما هو الحال في صفة السمع فالموجود هو الذي يُرى ويُسمع، والموجود قسمان: واجب، وجائز، وكلاهما يرى ويسمع.

الدليل على صفتي السمع والبصر:

١- الدليل العقلي:

السمع والبصر صفتان من صفات الكمال الذي يجب لله تعالى، وضدهما - وهو الصمم والعمى - من صفات النقص التي يتنزه عنها الله تعالى.

وعندما كان إبراهيم الخليل عليه السلام يجادل أباه وينصحه قال له: **﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾** [مريم: ٤٢]. وعندما كان يجادل عباد الأصنام: **﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾** [الشعراء: ٧٢، ٧٣]. فالأصنام خلت عن السمع والبصر وتجردت عن هذا الكمال فكيف يعبدها السفهاء ؟!

فدل ذلك على أن الإنسان بفطرته يدرك أن من شأن الإله أن يكون سميعاً يجيب من دعاه، بصيراً يرى من يعبده، ولا يسمح عاقل لنفسه أن يعبد إلهاً أصم أو يخضع لإله أعمى.

٢- الدليل النصي:

قال الله تعالى: **﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى (٤٥) قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾** [طه: ٤٣-٤٦].

وقال جل شأنه: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** [المجادلة: ١].

وقال سبحانه: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾** [الملك: ١٩]. وذات يوم قال النبي ﷺ لأصحابه عندما رآهم يرفعون أصواتهم بالدعاء: «**اربعوا على أنفسكم** - أي ترفقوا بها - **إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا بصيرًا**» رواه البخاري.

* * *

سابعًا: صفة الكلام

التعريف:

صفة الكلام: صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تدل على جميع الواجبات والمستحيلات والممكنات.

شرح التعريف:

صفة الكلام إحدى صفات المعاني التي شرحناها فيما سبق، بمعنى أنها شيء موجود منذ الأزل، بلا بداية، وهي قائمة بذات الله تعالى لا تنفصل عنه.

ومفهوم صفة الكلام الدلالة، فهي تدل على جميع الواجبات العقلية والمستحيلات العقلية والممكنات العقلية، فالله تعالى يخبرنا عن ذاته المقدسة بأنه واحد قادر موصوف بكل كمال، ويخبرنا بأنه لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، ويخبرنا عن الكون والكائنات في الدنيا والآخرة، ويخبرنا عن الطاعات لنعملها وعن المعاصي لنتجنبها.

الدليل على صفة الكلام الإلهي:

١- الدليل العقلي:

الكلام من صفات الكمال التي تجب لله تعالى، والدليل على أن الكلام كمال قول إبراهيم عليه السلام لعباد الأصنام: **﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾** [الأنبياء: ٦٢، ٦٣].

٢- الدليل النصي:

قال الله تعالى: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء: ١٦٤]. وقال جل شأنه: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾** [الشورى: ٥١].

* * *

المستحيل في حق الله تعالى

الأبيات:

ويستحيل ضد ما تقدما ... من الصفات الشامخات فاعلما

لأنه لو لم يكن موصوفًا ... بها لكان بالسِّوى معروفًا

وكل من قام به سواها ... فهو الذي في الفقر قد تناهى

والواحد المعبود لا يفتقرُ ... لغيره جلَّ الغني المقتدرُ

الشرح:

علمنا فيما سبق ما يجب لله تعالى إجمالاً وما يجب تفصيلاً، وعكس الواجب يكون مستحيلاً، فالمستحيل في حق الله تعالى إجمالاً كل نقص.

والمستحيل في حق الله تعالى تفصيلاً هو ضد كل صفة على حدة:

١- العدم ضد الوجود.

٢- الحدوث ضد القدم.

٣- الفناء ضد البقاء.

٤- المشابهة للحوادث ضد المخالفة للحوادث.

٥- القيام بالغير (الاحتياج) ضد القيام بالنفس.

٦- التعدد ضد الوحدانية.

٧- العجز ضد القدرة.

٨- القهر ضد الإرادة.

٩- الجهل ضد العلم.

١٠- الموت ضد الحياة.

١١- الصمم ضد السمع.

١٢- العمى ضد البصر.

١٣- البكم ضد الكلام.

الدليل على استحالة هذه الصفات:

١- أقمنا الدليل على وجوب اتصاف الله تعالى بصفات الكمال، فيستحيل عليه سبحانه ضدها، لأن الضدين لا يجتمعان، ومتى ثبت أحدهما انتفى الآخر.

٢- لو اتصف الله تعالى بصفات العدم و الحدوث والفناء.. إلخ؛ لكان متناهيًا في النقص والفقر والاحتياج، فلا يكون إلهًا قادرًا مبدعًا حكيمًا.. فالوصف بالنقص باطل محال في حق الله تعالى.

٣- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال جل شأنه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

* * *

الجائز في حق الله تعالى

الأبيات:

وجائز في حقه الإيجادُ   والترك والإشقاء والإسعادُ

ومن يقل فعل الصلاح[1] وجبا   على الإله قد أساء الأدبا

الشرح:

الواجب للشيء غير الواجب على شيء.

فالواجب لله تعالى يدخل في باب الكمال، وقد عرفنا فيما سبق أنه يجب لله تعالى كل كمال يليق بذاته المقدسة.

والواجب علي الله يدخل في باب التكليف وهو مجال باطل؛ لأن الله أكبر من كل شيء ولا يكرهه أحد، ولا يتعاظم عليه أحد ومن هنا فالجائز في حق الله تعالى هو فعل كل ممكن وتركه، فالله تعالى يفعل ما يريد، ويحكم فلا معقب لحكمه، ويقضي فلا راد لقضائه.

خلَق السموات والأرض، ونصب الجبال، وسير الكواكب، وأنزل الماء، وأخرج النبات، وأبدع الإنسان، وسخر له الكائنات، وأتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، ويتوالى مدده وعطاؤه لكل شيء، وتتواصل نعمه آناء الليل وأطراف النهار، فله سبحانه الخلق والأمر.

وقد فعل الله تعالى ذلك كله بقدرته ومشيئته وعلمه، ولو شاء غير ذلك لكان.

فالفاعل المطلق هو الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

ولا أحد يمنع مراد الله ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

---

(١) الذين قالوا بوجوب فعل الصلاح والأصلح هم المعتزلة، ولهم فيه تفصيلات واجتهادات ليس هذا محلها.

وحين يريد التبديل والتغيير لا يعجزه شيء: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ⑯ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [فاطر: ١٦، ١٧].

وفعل الله هو الرحمة: قال الله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

ولكنها الرحمة القائمة على الحكمة البالغة: قال الله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

[الأنعام: ١٣]

* * *

أسئلة

١- ما تعريف صفة الوجود ؟ وما دليل ثبوتها لله عز وجل؟

٢- لماذا يطلق على الله تعالى أنه واجب الوجود؟

٣- ما تعريف صفة القدم؟ وما دليل ثبوتها لله تعالى؟

٤- اذكر حديثًا شريفًا يستدل به على قدم الله تعالى.

٥- ما معنى صفة البقاء؟ وما دليل وجوبها من القرآن والسنة؟ وما الدليل العقلي عليها؟

٦- ما الدليل العقلي والنقلي على وجوب صفة القيام بالنفس لله تعالى؟

٧- من أي أنواع الصفات صفة الوحدانية ؟ وماذا تعني في المفهوم الإسلامي؟

٨- اشرح دليل التوارد وبين وجه دلالته على وحدانية الله.

٩- اشرح دليل التمانع وبين وجه دلالته على وحدانية الله.

١٠- عرف صفة القدرة واشرح التعريف.

١١- أقم الدليل العقلي والنقلي على وجوب صفة القدرة لله تعالى.

١٢- ماذا تعني صفة الإرادة؟ وما دليلها العقلي والنقلي؟

١٣- بماذا تتعلق صفة العلم الإلهي؟ وما الفرق بين الإرادة والعلم؟

١٤- كم عدد صفات المعاني ؟ وما هي؟

١٥- اذكر الفرق بين القدرة والإرادة؟

١٦- عرف صفة الحياة، وأقم الدليل العقلي والنصي عليها.

١٧- اشرح معنى صفة المعاني.

١٨- اذكر الصفة التي تناسب المعنى الآتي:

- تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه.

- تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق انكشاف تام.

- تقتضي صحة اتصاف الله تعالى بباقي الصفات.

- يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه.

١٩- عرف صفة السمع، وأقم الدليل عليها.

٢٠- اشرح هذه العبارة، وبين الصفة التي تنطبق عليها : تدل على جميع الواجبات والمستحيلات والممكنات .

٢١- ما الدليل على أن صفة السمع وصفة البصر من صفات الكمال؟

٢٢- ما المراد بالأمور المتقابلة التي تخصص بها الإرادة الممكن؟

* * *

نموذج محلول:

علام نستدل بما يأتي في موضوع الصفات الإلهية:

- وجود الكون والكائنات وعدمها ؟

- القهر والإكراه من صفات النقص؟

- الإبداع الكوني والدقة والنظام؟

- الاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع . . إلخ؟

- الصمم والعمى من صفات النقص؟

- البكم من صفات النقص؟

* * *

الجواب:

الدليـــــــــل	الصفة المناسبة لـه
وجود الكون والكائنات وعدمها	القدرة
القهر والإكراه من صفات النقص	الإرادة
الإبداع الكوني والدقة والنظام	العلم
الاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم.. إلخ.	الحياة
الصمم والعمى من صفات النقص	السمع والبصر
البكم من صفات النقص	الكلام

نموذج آخر:

ما الصفات التي تستدل عليها بهذه النصوص الشريفة:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

قال الله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦].

قال الله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨].

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

قال الله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١].

الجواب:

النـــــــص	الصفة
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا	الكلام
فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ	الإرادة
وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا	العلم
إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ	السمع والبصر
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ	الحياة

•• المبحث الثالث ••
تعلق صفات المعاني

- معنى التعلق.
- تقسيم الصفات باعتبار التعلق.
- تعلقات صفات المعاني.

تعلق صفات المعاني

الأبيات :

واجــب تعليق ذي الصفــات ... حتــمًا دواما مـا عــدا الحيـــاة

فالعلـم جزمًا، والكــلام السامي ... تعـــلقا بســـائر الأقســـام

وقــــدرة، إرادة تعلقـــــا ... بالـممكنـــات كلِّهـا أخا التقى

واجـــزم بـأن سمعه والبصـــرا ... تعلقـــا بكـــل موجـــود يُرى

التوضيح:

* **ذي الصـفات:** هذه الصفـات ويعني بها صـفات المعاني فـقط أما الصفا النفسية والصفات السلبية فلا تعلق لها.

* **ما عـدا الحياة:** أي أن الحيـاة وهي من صفـات المعاني لا تعلق لهـا فهي خارجة في التعلق عن صفات المعاني.

* **سائر الأقسام:** هي أقسام الحكم العقلي من الوجوب والاستحالة والجواز.

الشرح:

معنى التعلق:

إذا قلنا «الله قادر» مثلاً، فلفظ قادر يقتـضي ذاتًا قامت بها صفة، فذات الله تعالى وصفت بالقدرة، لكن هذه الصفة يتعدى أثرها إلى شيء آخر خارج الذات الإلهية هو إيجاد الكائنات وإعدامها..

هذا الشيء الآخر الذي هو الإيجاد والإعدام هو المسمى تعلقًا.

فالتعلق هو أن الصفة تقتضي أمرًا آخر بعيدًا عن الذات وقيام الصفة بها.

وإذا قلنا الله موجـود، فلفظ موجود يقتـضي ذاتًا قامت بها صفـة الوجود ولا نفهم من لفظ موجود إلا مـجرد قيام الصفة بموصوفـها ولا تحتاج إلى شيء آخر، وعدم الاحتياج هو المسمى عدم التعلق.

فعدم التعلق هو أن الصفة لا تقتضي أمرًا زائدًا على قيامها بموصوفها..

تقسيم الصفات باعتبار التعلق:

استقر رأي المحققين من العلماء على أن لله تعـالى ثلاث عشرة صفة جامعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١- صفة نفسية وهي الوجود فقط.

٢- صفـة سلبيـة وهي القدم والبـقاء والمخـالفة للحـوادث والقيـام بالنفس والوحدانية.

٣- صفة معنى وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

وكل من الصفات النفسـية والسلبية لا تعلق لها فهي تعنـي وصفًا لله تعالى ولا تقتضي شيئًا آخر غير الذات.

أمـا صفات المعـاني فيـتعلق منهـا ست صفـات، هي: القدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام وتبقى صفة واحدة هي الحياة ولا تعلق لها.

وإليك تفصيل هذه التعلقات..

أولاً: تعلق صفة القدرة:

قدرة الـله تعالى تتـعلق بالممكن العقلي أو الجـائز العقـلي إيجادا وإعـدامًا، والممكن أو الجائز هو العالم أي ما سوى الله تعالى، فكل الكائنات في هذا العالم وكافة الموجودات تأخذ حكم الممكن الذي يقبل الوجود تارة والعدم أخرى.

فمتعلق القدرة الإلهية هو الممكن.

وللقدرة تعلقان بالممكن هما:

١- صلوحي قديم:

بمعنى أن الله تعـالى قـادر منذ الأزل وبلا بداية، ولا يعـجزه شيء، فهـو سبحانه مـوصوف بالقدرة قبل أن يخلق العالم وقبل أن توجد الأشـياء، فالقدرة صالحة منذ القدم للإيجاد والإعدام.

٢- تنجيزي حادث:

وهو فعل الله تعالى الإيجاد والإعدام في لحظات الوجود وأوقات الزمان، فما يقع شيء إلا بقدرة الله، ولا ينتهي شيء إلا بقدرة الله، فالقدرة تنج الأشياء الحادثة.

والقدرة الإلهية لا تعلق لها بالواجب أو المستحيل.. لماذا؟ لأن الواجب العقلي ثابت لا يقبل العدم، فلا تتعلق به القدرة لإيجاده، فهو موجود بذاته، وتعلقها به حينئذ يعد تحصيلاً لحاصل وهو باطل محال.

ولا تتعلق القدرة بالواجب لإعدامه، فهو لا يقبل العدم لذاته، ولو تعلقت به القدرة لإعدامه لأدى ذلك إلى قلب حقيقة واجب الوجود إلى ممكن الوجود، وقلب الحقائق محال.

وإن المستحيل العقلي معدوم لا يقبل الوجود أصلاً، فلا تتعلق به القدرة في حال عدمه، لأنه معدوم بالفعل، وتعلقها به حينئذ يعد تحصيل حاصل وهو محال.

ولا تتعلق القدرة بالمستحيل لإيجاده، لأنه لا يقبل الوجود، وتعلقها به حينئذ قلب للحقائق وهو محال.

مثال تطبيقي:

من خلال المعنى الذي قدمناه عن تعلق القدرة يتضح أن الأسئلة التالية باطلة:

- هل يستطيع الله تعالى أن يخلق نفسه ؟
- هل يستطيع الله تعالى أن يخلق له شريكًا في الملك ؟

هذان السؤالان باطلان ومرفوضان عقلاً.

أما السؤال الأول فهو باطل لما يأتي:

١- الله تعالى ليس مخلوقًا، لأن الخلق حدوث، والحدوث مستحيل على الله تعالى، فالله تعالى واجب الوجود.

٢- قدرة الله تعالى لا تتعلق بالواجب لإيجاده، فالله تعالى واجب لذاته، وتعلقها به لإيجاده تحصيل حاصل.

٣- قدرة الله تعالى لا تتعلق بالواجب لسلب الوجود عنه؛ لأن ذلك قلب للحقائق، فالواجب موجود لذاته لا يقبل العدم حتى لا ينقلب ممكنًا.

والسؤال الثاني باطل لما يأتي:

١- شريك الله تعالى مستحيل الوجود، فهو معدوم لا يقبل الوجود أصلاً.

٢- قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل لإعدامه، لأن عدمه متحقق، وتعلقها به حينئذ تحصيل حاصل.

٣- قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل لإيجاده، لأن ذلك قلب للحقائق، فوجود المستحيل باطل حتى لا ينقلب إلى ممكن، لأن الممكن هو الذي يقبل الوجود تارة والعدم أخرى.

* * *

ثانيًا: تعلق صفة الإرادة:

إرادة الله تعالى تتعلق بالممكن على جهة تخصيص بعض الصفات التي تج
عليه دون البعض الآخر.

فالإنسان مثلاً يجوز أن يكون طويلاً أو قصيرًا، أبيض أو أسود، مصريًا أ
سودانيًا، غنيًا أو فقيرًا، صحيحًا أو مريضًا، متعلمًا أو جاهلاً، منجبًا أ
عقيمًا.. إلخ.

فإيجاد إنسان على صفة من هذه الصفات دون غيرها هو عمل الإرادة،
والذي يقبل هذا الترجيح هو الممكن أو الجائز العقلي.

وللإرادة تعلقان بالممكن:

١- صلوحي قديم:

وهو صلاحية الإرادة أزلاً لتخصيص الممكن ببعض الأمور المتقابلة.. فالل
تعالى موصوف بأنه مريد أزلاً وأبدًا.

٢- تنجيزي قديم:

وهو مباشرة الإرادة لاختصاصها بمعنى أن الله تعالى خصص الممكن المعين
بما يناسبه من الصفات والأشياء الملازمة له والمحققه لوجوده وتميزه، وهذا
التخصيص قديم، فقد أراد الله تعالى منذ الأزل وبلا بداية لفلان من الناس أن
يكون طوله كذا ولونه كذا، وإقامته في مكان كذا... إلخ.

وليس للإرادة تعلق يسمى التنجيزي الحادث، فالله تعالى لا يستأنف الآن
إرادة معينة، بل إرادته تعالى قديمة.

وليس للإرادة تعلق بالواجب أو المستحيل لنفس الأسباب التي قلناها سابقًا
في القدرة.

فالإرادة لا تتعلق بالواجب لترجيح وجوده، لأن وجوده ثابت لا يقبل العدم
فترجيح الإرادة لوجوده تحصيل حاصل، وهو محال، ولا تتعلق الإرادة بالواجب

لترجيح عدمه، لأن عدمه مستحيل لا يقع مطلقًا، فتعلق الإرادة به حينئذ قلب للحقائق وتحويل للواجب العقلي إلى ممكن عقلي وهو محال.

والإرادة لا تتعلق بالمستحيل لترجيح عدمه، لأن عدمه من ذاته لا يقبل التغير، فترجيح الإرادة لعدمه تحصيل حاصل وهو محال، ولا تتعلق الإرادة بالمستحيل لترجيح وجوده، لأن وجود المستحيل منفي لذاته، فهو لا يقبل الوجود أصلاً، فترجيح وجوده قلب للحقائق وتحويل للمستحيل العقلي إلى ممكن عقلي وهو محال.

* * *

ثالثًا: تعلق صفة العلم:

صفة العلم تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق انكشاف تام دون سبق خفاء أو جهل.

فالله تعالى يعلم ذاته موجودًا واجب الوجود، ويعلم شريكه معدومًا مستحيل الوجود، ويعلم الأشياء جميعها بكل أطوارها علمًا أزليًا.

وللعلم تعلق واحد بهذه الأقسام يسمى التنجيزي القديم - كما هو المختار من أقوال المحققين.

رابعًا: تعلق صفة الكلام:

صفة الكلام تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق دلالة وإفهام.

يقول الشيخ الباجوري في شرحه على الجوهرة: «وتعلق الكلام تعلق دلالة، وهو تعلق تنجيزي قديم بالنظر لغير الأمر والنهي، فهو يدل على أن ذاته وصفاته تعالى واجبة، وعلى أن الشريك والصاحبة والولد مستحيلة، وأن ولد زيد ورزقه وعلمه جائزة ويدل أزلاً أيضًا على أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار، والأول وعد والثاني وعيد، وهكذا، وأما بالنظر للأمر والنهي فعلى اشتراط وجود المأمور والمنهي يكون له تعلق صلوحي قديم قبل وجود المأمور والمنهي، وتنجيزي حادث بعده».

وهذا النص للشيخ الباجوري يعني أن لصفة الكلام ثلاثة تعلقات:

١- تنجيزي قديم بالنسبة للواجب والمستحيل والممكن في بعض جوانبه كالخبر والوعد والوعيد.

٢- صلوحي قديم بالنسبة للأمر والنهي قبل وجود المأمور والمنهي. فصفة الكلام صالحة أزلاً للدلالة على الأمر والنهي قبل وجود المكلف وهو الإنسان مثلاً.

٣- تنجيزي حادث بالنسبة للأمر والنهي بعد وجود المأمور والمنهي، فصفة الكلام لها دلالتها على الأمر والنهي بعد وجود المكلف. وهذه الدلالة الموجهة إلى المكلف حادثة.

خامسًا: تعلق صفتي السمع والبصر:

تتعلق هاتان الصفتان بالموجودات فقط، فهي التي تُرى وتُسمع، والموجودات قسمان: واجبة، وممكنة.

والموجود الواجب هو الله تعالى، والموجود الممكن هو هذه الكائنات العلوية والسفلية.

أما المعدوم فلا يتعلق به سمع ولا بصر، والمعدوم قسمان: مستحيل، وممكن، والمعدوم المستحيل هو شريك الله تعالى، والمعدوم الممكن مثل رزق شخص لم يوجد بعد، أو إنجاب شخص لم يتزوج بعد، أو نزول المطر في الشهر القادم، أو فيضان النيل بعد أسابيع قادمة وهكذا.

وتعلق السمع والبصر تعلق انكشاف ولكنه انكشاف يغاير الانكشاف بصفة العلم.

كما أن انكشاف السمع يغاير انكشاف البصر.

وللسمع والبصر ثلاثة تعلقات بالموجودات هي:

١- صلوحي قديم وهو صلاحية هاتين الصفتين في الأزل للتعلق بما سوف يوجده الله مستقبلاً فيما لا يزال.

٢- تنجيزي قديم وهو تعلق هاتين الصفتين أزلاً بالموجود الواجب وهو الله تعالى وصفاته تعلق انكشاف.

٣- تنجيزي حادث وهو تعلق هاتين الصفتين بالموجود الممكن بعد تحقق وجوده بالفعل.

* * *

نماذج للأسئلة

١- اذكر معنى التعلق ثم قسم الصفات الإلهية حسب التعلق.

٢- كم صفة من صفات المعاني تقتضي التعلق ؟ وما هي؟

٣- اشرح تعلق صفة القدرة وبين أنواع هذا التعلق.

٤- اشرح تعلق صفة الإرادة وبين أنواع تعلقها.

٥- ما الفرق بين تعلق العلم وتعلق الكلام؟

٦- ما الفرق بين الصلوحي القديم والتنجيزي القديم؟

٧- اذكر المستحيل في حق الله تعالى تفصيلاً وأقم الدليل على استحالته.

٨- اشرح الجائز في حق الله تعالى وأقم الدليل عليه.

٩- لماذا لا تتعلق القدرة بالواجب والمستحيل؟

مثال محلول رقم (١):

بين ما يتعلق وما لا يتعلق من الصفات الآتية: الوجود - الوحدانية - الكلام - البقاء - الحياة - القدرة - القدم - البصر.

الجواب:

الصفات المتعلقة	الصفات غير المتعلقة
الكلام	الوجود
القدرة	الوحدانية
البصر	البقاء
	الحياة
	القدم

مثال محلول رقم (٢):

ما الصفات التي تتعلق بالممكن فقط؟ وما الصفات التي تتعلق بالموجودات فقط؟ وما الصفات التي تتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي؟

الجواب:

١- القدرة والإرادة تتعلقان بالممكن فقط.

٢- السمع والبصر تتعلقان بالموجودات فقط.

٣- العلم والكلام تتعلقان بجميع أقسام الحكم العقلي.

مثال محلول رقم (٣):

اذكر أضداد هذه الصفات وبين حكمها بالنسبة لله تعالى: الوحدانية - الفناء - الاحتياج - الكلام - القدرة - السمع - الحدوث - القهر

الجواب:

الصفة	حكمها	ضدها	حكم الضد
الوحدانية	واجب	التعدد	مستحيل
الفناء	مستحيل	البقاء	واجب
الاحتياج	مستحيل	القيام بالنفس	واجب
الكلام	واجب	البكم	مستحيل
القدرة	واجب	العجز	مستحيل
السمع	واجب	الصمم	واجب
الحدوث	مستحيل	القدم	واجب
القهر	مستحيل	الإرادة	

•• المبحث الرابع ••

- القضاء والقدر.
- رؤية الله تعالى.

القضاء والقدر

الأبيات:

حياته وقدرة إرادة	وكل شيء كائن أراده
وإن يكن بضده قد أمرا	فالقصد غير الأمر فاطرح المرا

الشرح:

يشير المؤلف إلى مذهب الأشاعرة في مسألة الإرادة والأمر، وأن الأمر غير الإرادة، قد يجتمعان وقد يفترقان، وأن كل ما هو واقع في الكون والكائنات تكليفًا أو غير تكليف قد أراده الله تعالى..

ويترتب على ذلك أربع صور، هي:

١- اجتماع الإرادة والأمر مثل إيمان أبي بكر الصديق فقد أراده الله وأمر به.

٢- انتفاء الإرادة والأمر معًا مثل كفر أبي بكر فلم يرده الله لأنه غير واقع ولم يأمر به، فالله تعالى لا يأمر بالكفر.

٣- وجود الإرادة دون الأمر مثل كفر أبي جهل فقد أراده الله فوقع ولم يأمر به.

٤- وجود الأمر دون الإرادة مثل إيمان أبي جهل، فلم يرده الله فلم يقع ومع ذلك فإن الله تعالى قد أمره بالإيمان.

وهذا الكلام محل نظر طويل وجدل كبير بين المذاهب الإسلامية لكننا نقدم خلاصة الموضوع بما يحفظ لله جلاله وكماله وبما يحقق للإنسان مسئوليته واختياره..

ونوجز الكلام في نقاط هي:

١- نحن نرفض مذهب الجبر رفضًا تامًا، فإن هناك فرقًا واضحًا جليًا بين الإنسان والحيوان وهذا الفرق بداهة هو العقل الذي كرم الله به بني آدم، وعليه مدار التكليف وإذا سلب ما وهب سقط ما وجب، فالمجنون ومن على شاكلته غير مطالب بالأمر والنهي شرعًا.

كما أن هناك تفرقة ضرورية بين الفعل الاختياري والفعل الاضطراري، فحركة الساعي إلى الصلاة اختيارية، وحركة المرتعش اضطرارية، والمنتحر مختار، ومن قتل رغم أنفه مضطر.

وهذه التفرقة ثابتة شرعًا، فالساعي إلى الصلاة مثاب، والمنتحر معاقب، ولا حرج على المريض، ومن قتل حتف أنفه قد يكون شهيدًا.. وبالتالي فالإنسان مكلف بفعله الاختياري فقط ولا تكليف عليه عند الاضطرار.

والعقل والاختيار هما أساس المسئولية الشرعية، وهذا الأساس تقوم عليه حرية الإنسان في الفعل والترك، ويصدق فيه قول الله عز وجل: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: ٢٩].

وقوله جل شأنه: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة ٧، ٨].

٢- نحن نؤمن أن علم الله تعالى لا يعزب عنه شيء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: ٥٩]

وعلم الله تعالى محيط شامل غير مكتسب، ولا يسبقه خفاء، ولا يعتريه جهل، ولا يلحقه تخلف، ومع ذلك فهو انكشاف لا تأثير، فلا يلزم من العلم الأزلي حمل الله الناس على هذا العلم في مجال التكليف وإلا أصبح إلجاء.

فمقتضى الانكشاف كما يليق بجلال الله وكماله أنه لا يتخلف من حيث هو انكشاف تام، لا من حيث إنه حمل على المراد أو المعلوم، فعلم الله لا يسبقه جهل ولا يعتريه نسيان وليس له حواجز زمنية كالماضي والحاضر والمستقبل قال الله تعالى: ﴿**قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ [طه: ٥٢].

٣- إن أفعال الله تعالى مبنية على الحكمة، والكون كله قائم على تدبير حكيم، وقد كتب الله على نفسه الرحمة، ولم يخلق الكون عبثًا أو باطلاً.

والإنسان وسط هذا الكون ليس مطلق السراح، يهيمن على الوجود ويسيطر

على الكائنات، بل هو محكوم بنواميس ثابتة حوله تحيط به وتقع عليه، ويسير في فلكها، فالليل والنهار، والصيف والشتاء، والصحة والمرض، وطول العمر وقصره، وأجهزة بدنه وأعضاء جسمه الداخلية والخارجية، كلها مخلوقة لله، مسيرة بإرادته، واقعة بقدرته، لا ينفك عنها الإنسان.

وجميع هذه الأمور ليس يكلف بها الإنسان، ولن يحاسب عليها، ولا يعتريه مدح أو ذم بسببها، فهي خارجة عن نطاق المسئولية الإنسانية.

أما التكليف والأمر والنهي، والشرائع والأحكام فهي وحدها التي يقف الإنسان حيالها مختاراً يفعل ما يشاء بما منحه الله من طاقات، وما هيأ له من أسباب، وما مكن له من قوى، وقد أراد الله تعالى للإنسان هذا الموقف، وكلفه على هذا الأساس، وفي كلا الحالين أمام التكليف الشرعي بالإيمان أو الكفر، والطاعة أو المعصية لا يخرج عن المراد، لأن الله تعالى قد منحه الحرية، ولو شاء الله سلبها منه ما منعه أحد، لكنه جل شأنه لم يشأ للإنسان الجبر.

ومن هنا نفهم آيات كثيرة في القرآن المجيد مثل:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

فمشيئة الإنسان هي مشيئة الله له وقد منحه إياها.

٤- القرآن المجيد يفسر بعضه بعضاً، فالنصوص المطلقة تحمل على المقيدة، فإذا قرأنا آيات كريمات مثل قوله تعالى: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [البقرة: ٧] **﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾** [الكهف: ١٧].

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١].

فإننا نفهمها في إطار آيات كريمات أخرى مثل قوله جل شأنه: **﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾** [البقرة: ٢٦].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وهناك في عرف البيان القرآني التيسير لليسرى والتيسير للعسرى، وهما مرتبان على ما يبدأ به الإنسان في نطاق التكليف الشرعي وما يختار لنفسه، قال الله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾** [الليل: ٥-١٠].

وقد حاول البعض انتزاع آيات من سياقها وصرفها عن حقيقة مرادها، فقالوا إن قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [الصافات: ٩٦]. صريح في خلق الله لعمل الإنسان، وإن قوله تعالى: **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾** [الأنفال: ١٧] صريح في نفي نسبة العمل إلى الإنسان.

والأمر بخلاف ذلك، فإن لفظ «ما» في قوله: **﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** موصولة: أي والذي تعملونه، فإبراهيم عليه السلام يحتج على قومه بأن الله تعالى خلقهم وخلق المنحوت شجراً كان أو حجراً، فكيف يعبدونه من دون الله بعد أن عملوه صنماً واتخذوه إلهاً، ولا يعقل أن تكون «ما» مصدرية: أي وعملكم لأنه يؤدي إلى بطلان الاحتجاج عليهم، فكيف ينكر عليهم ما خلقه الله فيهم؟!.

وفي مسألة الرمي فإن الله تعالى أثبت الرمي لنبيه ﷺ في قوله: **﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾** فعلم أن الرمي المنفي غير الرمي المثبت، ذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فالنبي ﷺ قد بدأ الرمي لكن إصابته موقوفة على عوامل كثيرة، الله صانعها وخالقها ولا دخل للرامي بها، فالإنسان يسعى ويتخذ الأسباب ويدع العواقب لله أحكم الحاكمين.

* * *

رؤية الله تعالى

الأبيات:

واجزم أخي برؤية الإله — في جنة الخلد بلا تناهي

إذ الوقوع جائز بالعقل — وقد أتى فيه دليل النقلِ

الشرح:

يرى أهل السنة أن رؤية الله تعالى جائزة عقلاً لأن الله تعالى موجود، وكل موجود يجوز أن نراه، لكن قد تحول حوائل وموانع دون رؤيته كحواجز زمنية أو مكانية أو لضعف آلة الإبصار.

فنحن لا نرى ما وراء الجدار، ولا نرى الموجود في مكان بعيد، ولا نرى في الظلماء، فعدم الرؤية ليس دليلاً على استحالة المرئي.

ومذهب أهل السنة أنه لا تلازم بين الرؤية والتشبيه، ويثبتون رؤية بلا كيفية، ليست كرؤيتنا للأشياء في الدنيا..

ويستدلون على وقوع الرؤية في الآخرة للمؤمنين بنصوص من القرآن والسنة، منها:

١- قال الله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

[الأعراف: ١٤٣]

وجه الدلالة ما يلي:

إن موسى عليه السلام سأل الرؤية لنفسه، وهو نبي مرسل يعلم ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعالى، فلو كانت الرؤية مستحيلة لما سألها لنفسه ولا لغيره، ولزجرهم عنها كما قال لهم: ﴿ **إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ حين قالوا ﴿ **اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ولو كان موسى سألها لقومه لقال: أرهم ينظروا إليك، وجاء الرد بقوله: «لن يروني».

* قوله تعالى: ﴿ **لَن تَرَانِي** ﴾ نفي لرؤية موسى لربه، وليس نفياً للرؤية بالكلية، ولو كانت الرؤية مستحيلة لقال «لا أُرى» أو لست بمرئي.

وشبه الإمام الرازي هذا بمن يحمل في يده حجراً، فقال له إنسان: ناولني هذا لآكله، فإن الجواب: هذا لا يؤكل، ولا يقال له: لا تأكله.

ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة لقال له: لا تأكلها، أي هذا مما يؤكل ولكنك لا تأكله.

فلما قال تعالى: «لن تراني» ولم يقل: لا أرى، علم أن هذا يدل على أنه تعالى في ذاته جائز الرؤية.

* تعليق الرؤية على استقرار الجبل هو تعليق على ممكن فإن استقرار الجبل بعد دكه أمر ممكن.

وتجلي الرب للجبل هو الرؤية، وتقريره أن الإنسان لا يطيق رؤية الله تعالى في هذه الدنيا بدليل أن الجبل مع عظمته لما رأى الله تعالى تفرقت أجزاؤه وصار دكا.

أما كيف يرى الجبل؟! فهذا شيء متروك لقدرة الله تعالى الذي جعل الطير أوابة مع داود، وأنطق النملة مع سليمان.

* التوبة في حق الأنبياء لا تستلزم كونها عن ذنب، ولا شك أن التوقف في سؤال الرؤية من موسى عليه السلام - على إذن إلهي سابق كان أكمل، وسيئات المقربين حسنات الأبرار.

٢- قال الله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [يونس: ٢٦].

ووجه الدلالة:

أن الحسنى هي الجنة وأن الزيادة أمر مغاير للحسنى حتى لا يلزم التكرار، فالآية تثبت للمؤمنين شيئين هما الجنة والرؤية.

ويدعم هذا التفسير الحديث الشريف الذي رواه مسلم بسنده عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟**

فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟!

فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم».

٣- قال الله جل شأنه ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾

[القيامة: ٢٢، ٢٣]

ووجه الدلالة:

أن النظر بمعنى الرؤية، وإلى حرف جر، وأن النظر مرتبط بالوجوه، فنضرة الوجوه إنما هي بسبب الرؤية للرب تبارك وتقدس.

وإذا كان المؤمنين يتمتعون بالرؤية فإن الكافرين محجوبون عنها كما قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥].

وقال الإمام الشافعي:

لما حجب قومًا بالسخط دلّ على أن قومًا يرونه بالرضا.

* * *

نماذج للأسئلة

١- اذكر رأى الإمام الأشعري في مسألة الإرادة والأمر وماذا يترتب على ذلك؟

٢- لماذا نرفض مذهب الجبرية؟

٣- هل العلم الإلهي الأزلي يتعارض مع التكليف الشرعي؟

٤- متى يكون الإنسان مسيّرًا ؟ ومتى يكون مخيرًا؟

٥- كيف نفهم قول الله تعالى ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ ؟

٦- كيف نفهم قول الله تعالى ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾ ؟

٧- ما دليل أهل السنة على جواز رؤية الله تعالى ؟

٨- قال الله تعالى ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي** ....﴾ أكمل الآية الكريمة وبين وجه استدلال أهل السنة بها على جواز الرؤية.

٩- كيف استدل أهل السنة على مذهبهم في الرؤية بقول الله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ ؟

* * *

•• القسم الثاني ••
النبوات

- حاجة البشر إلى الرسالات.
- الصفات الواجبة للرسل.
- خوارق العادات.
- رسالة سيدنا محمد ﷺ .

النبوات

الأبيات:

وصِـف جميع الرسل بالأمانة	والصدق والتبليغ والفطانة
ويستحيل ضدها عليهم	وجائز كالأكل في حقهم
إرسالهم تفضل ورحمة	للعالمين جلّ مُولى النعمة

التوضيح:

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الصفات الأربع الواجبة للرسل عليهم السلام، وحكم باستحالة ضدها عليهم لأن الضدين لا يجتمعان، وقدم نموذجًا للجائز في حق الرسل وهو الأكل لأنهم بشر يأكلون ويشربون، وبين أن بعثة الرسل فضل ورحمة من الله وليس يجب على الله شيء، فهي من الجائز في حق المولى سبحانه.

واكتفى المؤلف بذلك.. ولذا استكملت باقي المباحث المتعلقة بالنبوات فكانت على النحو التالي:

- حاجة البشر إلى الرسالات.
- عدد الأنبياء.
- حكم بعث الأنبياء.
- حكم الإيمان بالأنبياء.
- الصفات الواجبة للأنبياء.
- المستحيل في حق الأنبياء.
- الجائز في حق الأنبياء.
- المعجزات.
- أنواع خوارق العادات.
- رسالة سيدنا محمد ﷺ.

حاجة البشر إلى الرسالات:

١- الإنسان مدني بطبعه، أي لا يعيش وحده، ولابد له من الاجتماع مع بني جنسه، وهذا الاجتماع يحتاج إلى قانون ينظم العلاقات ويحدد الحقوق والواجبات.

٢- هذا القانون لا يصدر عن العقل الإنساني، لأنه محدود لا يعرف المستقبل ولا يحيط بالماضي ويعجز عن إدراك الحاضر، فلا بد أن يصدر هذا القانون من سلطة لها قوة الإلزام ومن طور فوق طور البشر، ومن أفق أعلى حتى يتقبله الناس.

٣- هذا الأفق الأعلى هو أفق الوحي الإلهي من الله عز وجل الذي خلق الإنسان وصوره في أحسن تقويم.

٤- من الواجب على الإنسان أن يعرف خالقه ورازقه ومدبر الكون كله والكائنات بأسرها، والمعرفة تعني الطاعة والعبادة ولا يستطيع الإنسان أن يدرك العبادة الصحيحة إلا عن طريق المصطفين الأخيار من المرسلين.

٥- إن الإنسان لم يخلق عبثًا ولا تنتهي حياته بالقبر، بل له موعد للقاء الله تعالى في الدار الآخرة، وإذا كان الإنسان عاجزًا عن إدراك دنياه فهو أشد عجزًا عن إدراك أخراه.

وهكذا فالبشر في حاجة قصوى للتعرف على الخالق ومعرفة العبادة الصحيحة والمنهج الراشد لبناء الحياة ولا يكون ذلك إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من خلقه قال الله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾.

[آل عمران: ١٧٩]

* * *

عدد الأنبياء:

بدأت الإنسانية بآدم عليه السلام، فكان أول إنسان وأول نبي، ثم كثرت الذرية وانتشرت، فبعث الله تعالى إليهم أنبياء ورسلاً[1] لسنا نحصيهم ولا نعرف عددهم الإجمالي على مستوى التاريخ الإنساني كله، ويكفي أن نؤمن بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ولكن القرآن الكريم قص علينا نبأ خمسة وعشرين نبيا، وهناك آيات من سورة الأنعام جمعت ثمانية عشر نبيا، وهي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

وبقي عدد ذكره القرآن المجيد في مواطن أخرى، وهم: آدم، وإدريس، وهود، وشعيب، وصالح، وذو الكفل، ومحمد صلى الله عليهم جميعًا وسلم.

فضل الأنبياء:

الأنبياء - بلا استثناء - هم الإنسان الكامل، فقد اختارهم الله تعالى واصطفاهم وأدبهم أحسن تأديب، وعصمهم العصمة الكاملة، ومع علو مكانتهم جميعًا وسمو منزلتهم كلهم، فإن بعضهم أفضل من بعض بنص قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فأفضل الأنبياء أولو العزم، أي أصحاب العزيمة القوية والجهاد الكبير والصبر العظيم، وهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ

(١) هناك جدل بين العلماء حول الفرق بين النبي والرسول، فبعضهم يرى الفرق في التبليغ، وبعضهم يرى الفرق في الكتاب، وبعضهم يرى الفرق في النسخ لأحكام الشريعة السابقة.. إلى غير ذلك ونحن نرى أنه لا فرق بين النبي والرسول فكل نبي رسول وكل رسول نبي، راجع كتابنا «الرسالة والرسل في العقيدة الإسلامية».

كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

حكم بعث الأنبياء:

بعث الأنبياء وإرسال الرسل من الجائز في حق الله تعالى ليس بواجب، لأن الله لا يجب عليه شيء، وليس بمستحيل، لأنه واقع وقد جاء الرسل، والواقع لا يكون مستحيلاً فالمستحيل معدوم لا يقع أصلاً.

فبعثة الرسل والأنبياء من رحمة الله تعالى بعباده وتفضله على خلقه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

حكم الإيمان بالرسل والأنبياء:

من أصول الإيمان وأركانه: الإيمان بالأنبياء جميعًا دون تفرقة قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكل محاولة للتفرقة بين الأنبياء وادعاء الإيمان ببعض دون بعض هو كفر صريح، فمن آمن بموسى ورفض دعوة عيسى فهو كافر، ومن آمن بعيسى ورفض دعوة محمد فهو كافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]

* * *

الصفات الواجبة للأنبياء

يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إجمالاً كل كمال بشري، وقد فصل العلماء هذا الكمال البشري فتحدثوا تفصيلاً عن صفات أربع هي: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة. ونحن نقدمها هنا بتعريف كل صفة وإقامة الدليل عليها.

أولاً: الصدق:

الصدق معناه: مطابقة الخبر للواقع، فإذا قلت مثلاً: «حمزة شجاع» فهذه الجملة خبرية وهي ذات دلالة في إثبات الشجاعة لحمزة، وتكون هذه الجملة صادقة في معناها إذا كانت مطابقة لواقع حمزة في القوة التي تجعله يقتحم الصعاب ويخوض المعارك.

وصدق الأنبياء معناه صدق خبرهم في دعوى النبوة وما يبلغونه عن الله تعالى وفي جميع أقوالهم حتى في المزاح، وكان سيدنا محمد ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًا.. وعندما جاءته امرأة عجوز فقال مازحًا معها: «**لا تدخل الجنة عجوز**»!! فبكت المرأة فقال لها عليه الصلاة والسلام: «**ألم تقرئي قول الله تعالى:** ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾» [الواقعة: ٣٥ - ٣٧].

الدليل على وجوب الصدق للأنبياء:

١ - الدليل العقلي:

وقعت المعجزة على أيدي الأنبياء، والمعجزة فعل الله وحده، وكأنها تقول للناس: صدق هذا الإنسان فيما يبلغ عن الله.

فلو كان هذا الإنسان - المدعي للنبوة - كاذبًا وجرت على يديه المعجزة المؤيدة، لانتقل الكذب إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن تصديق الكاذب كذب، والكذب على الله تعالى محال.

٢ - الدليل النصي:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ثانيًا: الأمانة:

الأمانة: هي ما يؤتمن عليه المرء من مال أو عرض أو حق أو قيم. والمراد بها في جانب الأنبياء هنا هو: حفظ الله تعالى ظواهر الأنبياء وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه.

فالله تعالى يحفظ ظواهر الأنبياء من المعاصي التي تقع بالجوارح كالسرقة والزنا والقتل والسب والضرب.. إلخ، ويحفظ بواطنهم - أي قلوبهم - من الغل والحقد والحسد والضغينة.. إلخ

وهذا المعنى قد نسميه: «العصمة»، فالأنبياء معصومون من المعاصي والمنكرات، وأفعالهم كلها طهر ونقاء.

الدليل على وجوب الأمانة للأنبياء:

١ - الدليل العقلي:

من يختار شخصًا للتحدث باسمه لابد أن يكون هذا الشخص أمينًا طاهرًا، وإلا كان متهمًا بأنه لا يحسن الاختيار، والله تعالى - وله المثل الأعلى - هو الذي يختار الأنبياء ويصطفيهم، فلابد أن يختارهم معصومين أطهارًا أخيارًا؛ لأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، وهو محيط علمًا بكل شيء.

وأيضًا لقد أمرنا الله تعالى باتباع الأنبياء وجعلهم قدوة للناس، فلو فعلوا المنكرات لكنا مأمورين باتباعهم في ارتكاب هذه المنكرات، والله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر.

٢ – الدليل النصي:

قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال جل شأنه: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥، ٨٦]، وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾. [ص: ٤٥ - ٤٧]

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾: جعلناهم يعملون للآخرة ولا ينسونها أبداً.

ثالثاً: التبليغ:

صفة التبليغ: تعني أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قاموا بإيصال جميع ما أمرهم الله تعالى بتبليغه إلى أقوامهم، ولم يكتموا شيئًا من الوحي الذي أنزل الله إليهم كي يصلحوا به مجتمعاتهم.

الدليل على وجوب صفة التبليغ:

١ – الدليل العقلي:

إن كتمان شيء من الوحي الإلهي يعد خيانة، والخيانة تستحيل في حق الرسل؛ لأنها من النقص البشري الذي يتنزه عنه الأنبياء. كذلك فإن كتمان شيء من الوحي الإلهي يضيع فائدة الرسالة، ويتنافى مع حكمة النبوة وحاجة البشر إليها.

وقد يعود الكتمان بالنقص على الله تعالى فإما أن يعلم بالكتمان فيكون مقراً للخيانة وإذا لم يعلم بالكتمان فيكون جاهلاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢ – الدليل النصي:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال جل شأنه: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]. وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

رابعًا: الفطانة:

صفة الفطانة: تعني أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أعقل الناس، وأثقبهم فكراً، وأعظمهم ذكاءً، وأكثرهم فطنة، وأقدرهم على الإقناع وإقامة الحجة. وأنهم عليهم السلام استطاعوا تفصيل الأدلة لأقوامهم وتقديم البراهين لكافة مستويات التفكير الإنساني.

الدليل على وجوب صفة الفطانة:

١ – الدليل العقلي:

إن الله تعالى قد بعث الأنبياء بعقيدة التوحيد ومناهج الحياة السعيدة، وأقوام الأنبياء على مستويات متفاوتة من التفكير والوعي، وفيهم العقلاء وفيهم دون ذلك، ومنهم أصحاب الفطر السوية ومنهم المتمردون على القيم. فلو لم يكن الرسل فطناء حكماء؛ لكانوا عاجزين عن إقامة الحجة ورد الشبهة، وكان إرسالهم عبثًا، والعبث محال على الله تعالى، فالفطانة واجبة للأنبياء.

٢ – الدليل النصي:

إذا استعرضنا تاريخ الأنبياء من خلال قصص القرآن المجيد؛ نجد أنهم جميعًا كانوا على أعلى مستوى في حدة الذكاء وقوة الحجة ونصاعة البرهان.

ففي قصة نوح نقرأ قول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، فقوم نوح عليه السلام رفضوا منطق الحجة والبرهان، وآثروا العناد والتكذيب، واستهزؤا بوعيد الله تعالى.

ووقف إبراهيم عليه السلام موقف الجدال والمناقشة وتقديم البرهان مع ملك زمانه الذي ادعى لنفسه الربوبية، ومع الصابئة عبدة الكواكب، ومع قومه عبدة

الأوثان، ومع أبيه صانع الأصنام.. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وجاء نبي الله شعيب خطيب الأنبياء، يدعو قومه إلى التوحيد والعدل الاجتماعي، وأقام عليهم الحجة، وقدم لهم النصيحة، ولكنهم رفضوا المنطق ولجؤوا إلى القوة الغاشمة: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩١، ٩٢]

* * *

المستحيل في حق الرسل

عرفنا أن الواجب في حق الرسل إجمالاً كل كمال بشري، وتفصيلاً الصفات الأربع وهي: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة.

من هنا، فالمستحيل هو نقيض الواجب، ونقول: إن المستحيل في حق الرسل إجمالاً كل نقص بشري يخل بالرسالة أو يؤدي إلى نفرة الناس منهم كالأخلاق الرديئة والأمراض المعدية.

ويستحيل عليهم تفصيلاً أضداد الصفات الأربع الواجبة، فالكذب مستحيل؛ لأنه ضد الصدق الواجب. والخيانة مستحيلة؛ لأنها ضد الأمانة الواجبة. والكتمان مستحيل؛ لأنه ضد التبليغ الواجب. والبلادة مستحيلة؛ لأنها ضد الفطانة الواجبة.

الدليل على استحالة هذه الصفات:

١- هذه الصفات من الكذب والخيانة والكتمان والبلادة نقائص لا تليق بالمصطفين الأخيار.

٢- هذه الصفات أضداد لصفات وجبت للأنبياء، وإذا وجب الصدق استحال الكذب وإذا وجبت الأمانة استحالت الخيانة وإذا وجب التبليغ استحال الكتمان، وإذا وجبت الفطانة استحالت البلادة.

* * *

الجائز في حق الأنبياء

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر اصطفاهم الله تعالى، فيجوز عليهم كافة الأعراض البشرية بشرط واحد وهو ألا تؤدي إلى نقص في حقهم.

فيجوز عليهم الأكل والشرب، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٢٠]، ويجوز على الأنبياء الزواج والطلاق والإنجاب والعقم، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً**﴾ [الرعد: ٣٨]، ويجوز على الأنبياء العمل في الزراعة والصناعة والتجارة وسائر المهن الشريفة.

ففي صناعة البناء نجد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**﴾ [البقرة:١٢٧]، وفي صناعة السفن نجد نوحًا عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾ [هود:٣٧]، وفي صناعة الدروع نجد داود عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ**﴾ [الأنبياء:٨٠]، وقال سيدنا محمد ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا ورعى الغنم»، ويجوز في حق الأنبياء امتداد أيدي الظلمة إليهم بأنواع الأذى حتى القتل.. قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾ [المائدة:٧٠].

ويجوز في حق الأنبياء السهو والنسيان في غير نطاق التشريع والوحي، وكذا المرض الذي لا ينفر والموت الذي هو نهاية كل مخلوق.

* * *

نماذج للأسئلة

١- اشرح حاجة البشر إلى النبوات.

٢- كم عدد الأنبياء؟ ومن هم أولوا العزم؟

٣- ما حكم بعثة الرسل؟ وما حكم الإيمان بهم؟

٤- عرف صفة الصدق الواجبة للأنبياء وأقم الدليل عليها.

٥- ماذا تعني صفة الأمانة في حق الأنبياء؟ وما الدليل على وجوبها لهم؟

٦- اشرح معنى التبليغ، واذكر الدليل على وجوبه للأنبياء؟

٧- اذكر نماذج من تاريخ الأنبياء في إقامة الحجة على أقوامهم؟

٨- ما الصفات المستحيلة في حق الأنبياء؟ وما دليل استحالتها؟

٩- تكلم عن الجائز في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

مثال محلول:

اذكر أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم؟

الجواب:

الأنبياء الذين قصهم القرآن هم على النحو التالي:

١- آدم. ٢- إدريس. ٣- نوح. ٤- هود.

٥- صالح. ٦- إبراهيم. ٧- لوط. ٨- إسماعيل.

٩- إسحق. ١٠- يعقوب. ١١- يوسف. ١٢- شعيب.

١٣- أيوب. ١٤- ذو الكفل. ١٥- موسى. ١٦- هارون.

١٧- داود. ١٨- سليمان. ١٩- إلياس. ٢٠- اليسع.

٢١- يونس. ٢٢- زكريا. ٢٣- يحيى. ٢٤- عيسى.

٢٥- محمد ﷺ.

معجزات الأنبياء

حكمة المعجزة:

عندما يصطفى الله تعالى من عباده رسلاً يبلغون أحكامه وشرائعه إلى خلقه، لابد لهم من دليل يقدمونه للناس يؤكد دعوى النبوة والرسالة، ويوجب قبول أقوالهم والاقتداء بهم.

هذا الدليل الذي يقدمه الأنبياء إلى أقوامهم يسمى في علم التوحيد: المعجزة، فالمعجزة أشبه بالبطاقة أو الجواز الذي يحمله الشخص لإثبات هويته.

تعريف المعجزة:

المعجزة في علم التوحيد: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعى النبوة وفق مراده تصديقًا له في دعواه مع عجز جميع المكلفين عن الإتيان بمثله.

وقد اشتمل هذا التعريف على سبعة ضوابط هي :

١ - المعجزة أمر :

والأمر يشمل القول والفعل والترك، فالمعجزة قد تكون قولاً كالقرآن الكريم، وقد تكون فعلاً، مثل انقلاب العصا حية، وقد تكون تركًا، كعدم إحراق النار ليسدنا إبراهيم الخليل، فعدم إحراق النار ليس من قبيل الأقوال وليس من قبيل الأفعال، وإنما هو ترك النار لخاصية الإحراق فيها.

٢ - المعجزة خارق للعادة :

فالمعجزة خارقة للنواميس التي جرى عليها الكون، ولا تخضع لتعلم وتعليم من البشر، وليس لها قواعد يعرفها البعض أو الكل، وخرج بهذا القيد السحر والشعوذة وغرائب المخترعات، فهي تعرف بالتعلم ولها قواعد يمكن الإلمام بها، ويستطيع كل إنسان أن يكون له نصيب منها بالدراسة والخبرة والممارسة.

٣- المعجزة أمر الله وحده :

فالمعجزة مختصة بالله تعالى لا دخل للبشر فيها، فمتى أراد الله تعالى إظهار هذا الأمر الخارق أظهره وإلا فلا، فالمعجزات ليست من فعل الأنبياء، وإنما هي فعل الله على أيدي الأنبياء.

٤- المعجزة تقع علي يد مدعي النبوة :

فالمعجزة تقع على يد مدعي النبوة حال دعواه، أما ما يقع قبل وصول الوحي إلى النبي أو ما يقع على أيدي الأولياء والصالحين وغيرهم، فليس يسمى معجزة، وإن كان خارقًا للعادة، وله أسماء أخرى هي الإرهاص والكرامة والمعونة والاستدراج، وسيأتي تعريف هذه المصطلحات.

٥- المعجزة تقع وفق مراد النبي :

فلو ادعى إنسان أنه نبي وأن معجزته انقلاب العصا حية، فانقلبت فأرة، فليس هذا دليلاً على نبوته؛ لأن الأمر الخارق للعادة على غير مراده، وقد حصل لمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة كذبًا - أن تفل في عين أعور لتبرأ، فعميت العين السليمة، فإصابة العين السليمة بالعمي من جراء التفل في العمياء يعد أمرًا خارقًا للعادة، لكنه على غير مراد ذلك الكذاب، وهذا يسمى الإهانة.

٦- المعجزة مصدقة لمدعى النبوة :

متى وقعت المعجزة على النحو السابق علم منها يقينًا أن الله تعالى يؤيد هذا النبي ويحمله رسالة يجب التصديق بها والعمل بمقتضاها.

٧- يعجز الناس عن الإتيان بمثلها :

يقف الناس جميعًا أمام المعجزة حيارى مبهوتين لا يستطيعون الإتيان بمثلها، ومهما أوتوا من قوة فهم عاجزون عن محاكاتها؛ ولهذا قال الله تعالى في شأن القرآن المجيد : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

أنواع من خوارق العادات :

عرفنا أن المعجزة وقف على الأنبياء أثناء تبليغهم دعوة الله إلى أقوامهم. وهناك خوارق للعادات غير المعجزة لها أسماء مختلفة هي :

١- **الإرهاص** : خارق للعادة يظهر قبيل بعثة النبي تأسيسًا للنبوة وتمهيدًا لها، مثل حماية الكعبة من هجمة الأحباش عام ميلاد سيدنا محمد ﷺ.

٢- **الكرامة** : خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح غير مدع للنبوة إكرامًا له لولائه لنبي زمانه، كوجود الرزق في محراب مريم عليها السلام من غير سعي منها، وكتساقط الرطب عليها عندما تهز جذع النخلة.

٣- **المعونة** : خارق للعادة يظهر على يد عبد مستور الحال، لا يعرف عنه ذنب كبير ولا إصرار على ذنب صغير، وليس مدعيًا للنبوة، ويقع هذا الخارق تخليصًا لهذا العبد من شدة تمر به أو ضائقة حلت عليه، مثل إنسان أوشك على الموت ويئس الأطباء منه وفجأة يعافيه الله ويشفيه.

٤- **الإهانة** : خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة كذبًا مخالفًا لمراده حتى يعرف الناس كذبه فلا يصدقه أحد، كما حدث لمسيلمة الكذاب عندما تفل في عين أعور فعميت السليمة.

٥- **الاستدراج** : خارق للعادة يظهر على يد مدعى الألوهية خديعة له ومكرا به، كما يحصل للمسيخ الدجال من أمور تخرج عن نطاق النواميس المعتادة، ولكن لكونه يدعي الألوهية فلا خطر على الناس، فهناك عاصم عقلي يمنع الناس من التصديق بألوهيته مهما أحدث من خوارق العادات، فالمسيخ الدجال إنسان يأكل ويشرب، وأعور، ولا يعقل أن يكون إلها بحال من الأحوال، فليست الألوهية كألفاظ البطولة والشجاعة، نمنحها لبعض البشر، فكل ما طرأ ببالك فالله بخلاف ذلك.

إمكان المعجزة ووقوعها :

الفرق بين الإمكان والوقوع : أن الإمكان حكم عقلي قد يقع وقد لا يقع،

فمقابلة فلان من الناس لرئيس الجمهورية شيء ممكن ليس واجبًا حتميًا وليس ممتنعًا عقليًا، لكن هل قابل فلان من الناس رئيس الجمهورية بالفعل أم لا؟ هذا شيء آخر يحتاج إلى إثبات.. فالمعجزة ممكنة عقلاً؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء، وهو سبحانه الذي خلق الكون ونواميسه، وهو سبحانه الذي يستطيع تغيير هذه النواميس الكونية.

والمعجزة واقعة فعلاً وحدثت للأنبياء في كل زمان ومكان، ونقلت إلينا تواترًا جيلاً بعد جيل، وأيقن الناس أن الله تعالى أيد موسى عليه السلام بانقلاب العصا حية، وأيد عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص، وأيد محمدًا ﷺ بالقرآن المجيد.

* * *

رسالة سيدنا محمد ﷺ

حاجة الناس إلى الرسالة المحمدية:

من رحمة الله تعالى بالبشرية جمعاء: أن بعث إليهم سيدنا محمداً ﷺ لهدايتهم وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة - قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وهذه الرحمة العامة للرسالة المحمدية تتمثل فيما يلي:

١- تصحيح عقائد اليهود والنصارى، وأوهام الفلاسفة، وضلالات الوثنيين، وذلك بعبادة الله وحده لا شريك له.

٢-تطهير القلوب والنفوس من سيء الأخلاق، وذميم العادات بالدعوة إلى مكارم الأخلاق.

٣- تقديم شريعة صالحة مصلحة لكل زمان ومكان، تنظم الحياة بأسرها في كافة جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

دلائل النبوية المحمدية:

أتى سيدنا محمد ﷺ برسالة الإسلام وأيده الله تعالى بالمعجزات التي تحدى بها القوم، فعجزوا عن معارضتها والإتيان بمثلها.

والمعجزة الكبرى لسيدنا محمد ﷺ هي القرآن المجيد، والتحدي بالقرآن ما زال قائمًا، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ومن معجزاته ﷺ الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى السموات العلا، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى حيث شاء العلي الأعلى، ثم العودة إلى حيث بدأ، كل ذلك في جزء يسير من الليل.. قال

تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر، ففي صحيح البخاري ومسلم: أن أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما.

ومن خوارق العادات لرسول الله ﷺ نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى شرب الناس والدواب.. ففي صحيح البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ فجهش الناس نحوه، فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة(1).

ومن خوارق العادات أيضًا حنين الجذع، فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه، وفي رواية: فصاحت النخلة صياح الصبي. وفي رواية: فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار (الناقة العشراء).

ويضاف إلى ذلك كله من دلائل النبوة - طيب عنصره ﷺ وعظم أخلاقه ﷺ وبشائر الأنبياء به ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٦، ٧].

* * *

(1) الركوة: بفتح الراء وسكون الكاف بقعة صغيرة فيها ماء. وجهش: يكاد يبكي. خمس عشرة مائة: أي ألف وخمسمائة.

عموم الرسالة المحمدية :

كان كل نبي فيما سبق يبعث إلى قومه خاصة، ولم يتحقق عموم الرسالة زمانًا أو مكانًا إلا لسيدنا محمد ﷺ، فقد أرسل الله تعالى محمدًا ﷺ إلى العرب والعجم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٩] وقال جل شأنه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأرسل الله تعالى محمدًا ﷺ إلى اليهود والنصارى خاصة وإلى الناس عامة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[المائدة: ١٩]

وأرسل الله تعالى محمدًا ﷺ إلى الإنس والجن معًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

ختم النبوة ودليله :

بدأت النبوة بآدم عليه السلام وختمت بمحمد ﷺ، فلا نبي بعده، ولا رسول يعقبه، ولا نسخ لشريعته، فهي باقية تكليفا شرعيًا للإنس والجن إلى أن تقوم الساعة.

والدليل على أن سيدنا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين من القرآن المجيد قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ومن السنة قول رسول الله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

نماذج للأسئلة

١- ما حكمة المعجزة؟ وما تعريفها ؟

٢- ما الفرق بين المعجزة والكرامة ؟

٣- ما الفرق بين المعجزة والإرهاص ؟

٤- عرف كلاً من : المعونة ، والإهانة، والاستدراج ؟

٥- اذكر أمثلة من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٦- اشرح حاجة الناس إلى الرسالة المحمدية.

٧- اذكر دلائل النبوة لسيدنا محمد ﷺ ؟

٨- ما معنى عموم الرسالة المحمدية؟ وما الدليل على ذلك؟

٩- ماذا يعني ختم النبوة؟ وما الدليل على ذلك؟

١٠- أقم الدليل على وقوع هذه المعجزات : الإسراء والمعراج - انشقاق القمر - حنين الجذع.

١١- اذكر الدليل على أن سيدنا محمدًا ﷺ مبعوث إلى الجن.

١٢- ما الفرق بين إمكان المعجزة ووقوعها؟ وما الدليل علي كل منهما؟

مثال محلول :

اذكر مثالاً لكل من : المعجزة القولية - المعجزة الفعلية - الإرهاص - الكرامة - الإهانة - معجزة من قبيل الترك.

الجواب :

المعجزة القولية مثل القرآن الكريم.

المعجزة الفعلية مثل انقلاب العصا حية.

الإرهاص مثل إظلال الغمامة لسيدنا محمد ﷺ عندما كان في تجارة للسيدة خديجة مع غلامها ميسرة.

الكرامة مثل نقل عرش بلقيس إلى سليمان على يد الرجل الصالح الذي عنده علم من الكتاب.

الإهانة مثل إصابة العين السليمة بالعمى من جراء تفل مسيلمة الكذاب في العين العوراء.

معجزة من قبيل الترك مثل عدم إحراق النار لإبراهيم الخليل.

مثال آخر محلول:

ما معنى الإسراء؟ وما معنى المعراج؟

الجواب:

الإسراء: هو السير ليلاً والمقصود منه هو الانتقال برسول الله ﷺ ليلاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس في فلسطين.

والمعراج: هو سلم الصعود، والمقصود منه هو الانتقال برسول الله ﷺ من بيت المقدس والصعود به إلى السموات العلا، إلى حيث شاء الله تعالى، كل ذلك في جزء يسير من الليل.

* * *

•• القسم الثالث ••
السمعيات

• معنى السمعيات.

• عقائد سمعية.

- نعيم القبر وعذابه.
- البعث والنشر والحشر.
- الميزان والصراط والحوض.
- الجنة والنار.
- الملائكة والجن.

العقائد السمعية

الأبيات :

ويلـــزم الإيمـــان بالحســـاب	والحشـر والعقـاب والثواب
والنشـر والصـراط والميـزان	والحـوض والنيـران والجـنان
والجـن والأمـلاك ثـم الأنبيا	والحـور والولـدان ثم الأوليا

التوضيح :

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى بعض العقائد السمعية بإشارات سريعة مكتفيًا بذكر الأسماء فقط دون أن يستوعبها . .

ثم حكمت عليه القافية فذكر الأنبياء والأولياء فليس هذا محل ذكرهم.

ونحن نحاول أن نقدم توضيحًا لهذه العقائد السمعية بأدلتها الشرعية حتى يكون الإيمان مقترنًا بالحجة والبرهان.

معنى السمعيات :

السمعيات : هي الأمور التي تؤخذ بالسماع من الصادق المعصوم ولا يستقل العقل بإدراكها، مثل سؤال القبر ونعيمه وعذابه والبعث والحشر والميزان والجنة والنار والملائكة والجن.

طريق ثبوت السمعيات :

القرآن المجيد والسنة الصحيحة هما أساس ثبوت السمعيات، فمعرفتنا بهذه الحقائق عن طريق الشرع والنصوص التي جاءت حولها، وليس للبحث العلمي المادي مجال للخوض فيها، فهي لا تخضع للمعامل والتجارب والأبحاث

الميدانية، والعقل لا يخوض فيها إلا في ظلال النصوص الشرعية وفهمها الفهم الصحيح.

سؤال القبر :

يعني سؤال العبد بعد موته سواء وضع في قبر أم لا، ولما كان غالب الموتى أنهم يقبرون قيل : سؤال القبر؛ نظرًا للغالب.

وسؤال الميت يكون عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟

والسؤال يكون للبدن والروح معًا بطريقة لا نعلمها على وجه التفصيل.

الدليل على سؤال القبر :

من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم:٢٧]، فقد قال رسول الله ﷺ : «**نزلت في عذاب القبر فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمد فذلك قوله:** ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾». وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم فإنه الآن يُسأل**».

حكم الإيمان بسؤال القبر :

ذهب جمهور العلماء إلى وجوب الإيمان بسؤال القبر وحكموا بأن منكره مبتدع ضال.

نعيم القبر وعذابه :

بعد سؤال الميت في قبره يأخذ جزاءه علي قدر عمله وجوابه، وقد يكون الجزاء ثوابًا فهذا هو نعيم القبر، وقد يكون الجزاء عقابًا فهذا عذاب القبر.

ونعيم القبر وعذابه مرحلة تمهيدية للحساب الأكبر يوم القيامة، وبه يعرف الإنسان المصير الذي ينتظره يوم البعث والنشور.

الدليل على نعيم القبر وعذابه :

قال الله تعالى في حق الشهداء : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٦٩-١٧١] .

فهذا الثواب للشهداء عقب الموت مباشرة وقبل يوم القيامة وهو الذي نسميه: نعيم القبر.

ومن الأدلة على عذاب القبر قول الله تعالى في حق قوم نوح : ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح:٢٥]، فإدخال قوم نوح النار كان عقب الغرق مباشرة بدليل العطف بالفاء في قوله: ﴿فَأُدْخِلُوا﴾ وفاء العطف تفيد الترتيب والتعقيب.

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى في حق آل فرعون : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. فالعرض على النار صباحًا ومساءً مرحلة تمهيدية تسبق مرحلة دخولهم أشد العذاب يوم القيامة، فمرحلة العرض هي عذاب القبر.

وقد جاء في صحيح الحديث أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**» ثم قال: «**بلى أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله**».

حكم الإيمان بنعيم القبر وعذابه :

الإيمان بنعيم القبر وعذابه واجب بناء على هذه النصوص الشرعية وإنكار ذلك بدعة وضلالة.

شبهات بعض المنكرين :

ينكر بعض الناس سؤال القبر ونعيمه وعذابه بحجة أن الميت يوضع في لحد ضيق، ولا يرى عليه أثر للنعيم والعذاب، وأن بدن الإنسان قد يتفتت وتذروه

الرياح فكيف ينعم الميت أو يعذب أو يسأل؟!

والجواب باختصار : أن لكل مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية نواميس تخصها، فالجنين في رحم أمه حي، والإنسان على ظهر الأرض حي، ولكل من الحياتين طبائع خاصة، فما يكون به الجنين حيًا لا يصلح أن يكون به الإنسان حيًا، والعكس بالعكس.

فحياة القبر نوع حياة لها أيضًا نواميس غير ما تعارفنا عليه في هذه الدنيا، وقدرة الله صالحة، والله تعالى لا يعجزه شيء، وكوننا لا نرى شيئًا من الألم أو اللذة على الميت لا ينفيه، فقد كان الصحابة يجلسون مع رسول الله ﷺ وجبريل ينزل عليه بالوحي ولا يشاهدون شيئًا.

ويجب أن نفرق بين المستحيل والمستبعد، فالمستحيل لا يقع، أما المستبعد فقد يقع، والمستبعد لون من الجائز العقلي، وإن غرائب المخترعات كلها كانت مستبعدة فيما مضى لكنها أصبحت حقائق اليوم ووقائع الحياة المعاصرة.

البعث والنشر :

البعث : هو إحياء الله تعالى الموتى.

والنشر : هو إخراج الله تعالى الموتى من قبورهم بعد بعثهم.

فالبعث والنشر متغايران. وقيل: معناهما واحد وهو الإحياء والإخراج معًا، فكل من إحياء الموتى واخراجهم يسمى : بعثًا أو نشرًا.

الدليل على البعث والنشر :

البعث أمر ممكن عقلاً، ورد به القرآن المجيد والسنة الصحيحة، وأجمعت عليه الشرائع كلها.

والدليل على أن البعث ممكن أن إعادة الإنسان أهون من خلقه ابتداء، وأن قدرة الله تعالى أبدعت ما هو أعظم من الإنسان كخلق السموات والأرض والجبال والكواكب والنجوم، فإعادة الإنسان بعد موته أيسر من ذلك كله.

وقد جاء في السنة المطهرة : أن أبي بن خلف خاصم النبي ﷺ وأتاه بعظم رم وبلي، قبضه ففتته وقال: يا محمد ، أترى الله يحيى هذا بعد ما رم ؟! قال عليه الصلاة والسلام : «**نعم يبعثك ويدخلك النار**».

ونزل قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس: ٧٨-٨٣].

حكم الإيمان بالبعث :

الإيمان بالبعث والنشور واجب ، ومنكره كافر، لإنكاره معلومًا من الدين بالضرورة.

الحشر ودليله وحكم الإيمان به :

هناك في الآخرة نوعان من الحشر : الأول :هو سوق العباد بعد بعثهم وإخراجهم من قبورهم إلى موقف الحساب للحكم بينهم .

ودليله قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ [ق: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾ [طه: ١٠٢].

والثاني: هو سوق العباد من موقف الحساب إلى الجنة أو إلى النار بعد محاسبتهم . ودليله قوله تعالى : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا**﴾.

[الزمر: ٧١-٧٣]

والإيمان بالحشر واجب ومنكره كافر؛ لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة.

الحساب ودليله وحكم الإيمان به :

الحساب لغة : العد ، واصطلاحًا: إعلام الله تعالي العباد في المحشر بأعمالهم قولاً وفعلاً واعتقادًا، وقد يكون يسيرًا أوعسيرًا، وقد يكون سرًا أو جهرًا، وقد يكون فضلاً أو عدلاً، ومن العباد من يدخل الجنة بغير حساب.

والحساب يكون بعد أخذ صحف الأعمال، قال الله تعالى : ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا**﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]. وقال جل شأنه : ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. والإيمان بالحساب واجب ومنكره كافر ، لإنكاره معلومًا من الدين بالضرورة.

الميزان ودليله وحكم الإيمان به :

في يوم القيامة مواقف متتالية وأحوال متباينة يشيب لها الولدان، الأمر الذي يجعل الإنسان العاقل يحرص على الالتزام الكامل بمنهج الله .

وقد ورد في القرآن المجيد والسنة الصحيحة أن هناك ميزانًا لأعمال الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعرف: ٨، ٩].

وهناك تساؤلات اختلف العلماء بشأنها مثل :

هل هو ميزان واحد لكل الأعمال ولكل البشر؟ أم لكل فرد موازين؟

وهل الموزون هو نفس الأعمال أو صحف الأعمال؟ أو العامل نفسه؟

وفي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ : «**كلمات حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم**».

وفي صحيح البخاري أيضًا قال عليه الصلاة والسلام: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**».

والخلاف هنا لا يضر طالما كان الإيمان ثابتًا بأصل الميزان، وأما قوله تعالى في حق الكافرين: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] فليس معناه ترك الميزان وإنما المراد ليس لهم وزن نافع يثابون عليه. وأنكر المعتزلة الميزان والوزن الحسيين، وحملوا الميزان والوزن في النصوص الشرعية على رعاية العدل المطلق، وهو تأويل فاسد لا ضرورة له.

والذي يجب اعتقاده أن في الآخرة وزنًا وميزانًا؛ لأن هذا معلوم من الدين بالضرورة، ويكفر الشخص بإنكاره، أما تفسير الميزان بأنه حسي أو ليس بحسي، أو هو كناية عن تمام العدل فليس مما يكفر منكره، وتفويض التفاصيل إلى علم الله أولى وأسلم.

الصراط ودليله وحكم الإيمان به:

عندما ينتهي الحساب يتجه العباد إلى الغاية الكبرى وهي النعيم أو الجحيم، فيمرون على الصراط، وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يعبر عليه المؤمن والكافر، فيقطعه المؤمن إلى نهايته ويصل إلى الجنة، ويسقط من فوقه الكافر إلى جهنم.. قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦١]. وقال جل شأنه: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]. وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

وقد فهم المعتزلة أن الصراط هو الطريق الموصل إلى الجنة أو الطريق الموصل إلى النار وليس جسرًا ممدودًا على ظهر جهنم.. والذي يجب اعتقاده هو أن في الآخرة صراطًا، وإنكار ذلك كفر، أما تفسيره بأنه جسر أو الطريق إلى الجنة والنار، فليس عقيدة يكفر الشخص بإنكارها.

الثواب والعقاب ودليلهما وحكم الإيمان بهما:

الدنيا دار تكليف بمعنى أن الله تعالى أرسل رسله بالأوامر والنواهي ليقوم العباد بالالتزام بها طاعة لله ورسله. ومع أن التكاليف الشرعية فيها صلاح العباد والبلاد إلا أن الله تعالى وعد - ووعده الحق - أن يكافئ الطائعين بجنات الخلد،

وأوعد العصاة المخالفين بعذاب جهنم.

فالثواب هو الجزاء الحسن في الآخرة على ما قدمه المرء في الدنيا من الطاعات وأعمال البر والخيرات. والعقاب هو الجزاء السيء في الآخرة على ما قدمه المرء في الدنيا من المعاصي والمنكرات.

وثواب الله فضل، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وعقاب الله عدل، فالسيئة بمثلها، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤] ومنكر ذلك كافر لإنكاره معلومًا من الدين بالضرورة.

الحوض ودليله:

من تكريم الله لسيدنا محمد ﷺ أن منحه يوم القيامة حوضًا يشرب منه المؤمنون شربة لا يظمأون بعدها أبدًا.

وجاءت أحاديث صحيحة في البخاري ومسلم تصف الحوض منها: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق - بكسر الراء أي الفضة - وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ أبدًا».

وقالت: أسماء بنت أبي بكر: قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم».

اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن عن ديننا.

* * *

الجنة والنار

الجنة في اللغة : البستان .

وفي اصطلاح الشرع : دار الثواب التي جعلها الله تعالى لتكون دار إقامة أبدية للمؤمنين الذين ماتوا على العقيدة الصحيحة.

والنار في اللغة : جسم لطيف محرق.

وفي اصطلاح الشرع : دار العقاب التي أعدها الله تعالى لمن مات عاصيًا.

قال الله تعالى: **﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾** [الشورى: ٧] والجنة والنار موجودتان الآن، ويشهد لذلك قصة آدم عليه السلام قال تعالى: **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾** [البقرة: ٣٥] ، وفي قصة الإسراء والمعراج ما يدل على أن سيدنا محمدًا ﷺ شاهد الجنة.

والقول بوجود الجنة هو قول بوجود النار، إذ هما متلازمان.

وقد قامت أدلة الشرع على أن الجنة والنار خالدتان أبدًا، وأن أهلهما في النعيم أو العذاب دوامًا سرمدًا.

قال الله تعالى في حق أهل الجنة: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾** [النساء:١١٢]، وقال الله تعالى في حق الكافرين: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾** [الأحزاب: ٦٤، ٦٥] .

ومذهب أهل السنة أن المؤمن العاصي لا يخلد في النار، وأن من مات مسلمًا ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض إلى الله إن شاء عذبه لفترة محدودة وإن شاء عفا عنه، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** [النساء: ١١٦]. وفي الحديث الصحيح عن

عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: **«بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»** فبايعناه على ذلك.

نعيم الجنة:

نعيم الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد تكون الأسماء معروفة لنا في الدنيا لكن الحقائق غير خاضعة للتصور..

قال الله تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة: ٢٥].

وللعلماء في فهم قوله تعالى: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** قولان:

١- عندما يأتيهم الرزق يقول أهل الجنة هذا الذي رزقنا به في الدنيا.

٢- أو يقولون هذا الذي رزقنا به في المرات السابقة في الجنة.

فيقال لهم في الحالين: اللون متشابه والطعم مختلف، ولهذا ورد في بعض الآثار: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء..

فالرمان والأعناب والفواكه ولحوم الطير والماء والخمر والعسل.. إلخ لا تشترك مع ما في الدنيا إلا في الاسم فقط..

قال الله تعالى: **﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾** [محمد: ١٥].

وثمرة الجنة لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، فليس فيها فاكهة صيف أو شتاء، وليست بعيدة المنال عن مشتهيها، فالكل متوافر وتحت

الطلب، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. وقال جل شأنه: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] ومن نعيم الجنة الولدان. قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

فالطواف للخدمة، وهؤلاء الولدان على حال واحدة لا يكبرون ولا يشيبون، وهم في انتشارهم لقضاء حوائج أهل الجنة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ثيابهم كاللؤلؤ المنثور في المكان الواسع..

ومن نعيم الجنة الحور، وهن نساء في غاية الحسن والبهاء والجمال، وصفهم القرآن بأوصاف خلابة في مثل قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩].

ومعنى «قاصرات الطرف»: أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن أو يقصرن أبصار أزواجهن عليهن فيظل الأزواج ينظرون إليهن لفرط حسنهن.

ومعنى «عين»: أي نجلاء العيون واسعة حسناء.

ومعنى «بيض مكنون»: قيل هو اللؤلؤ المكنون الذي لم تمسه الأيدي، وقيل بياض البيض حين ينزع قشرته.

وفي موضع آخر نقرأ قول الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾. [الرحمن: ٥٦-٥٨]

ومعنى «لم يطمثهن»: أنهن أبكار لم يطأهن أحد قبل أزواجهن، وللجن جنيات وللإنس إنسيات كي تتشابه الخلقة.

وقوله «كأنهن الياقوت والمرجان»: أي في الصفاء والبياض، وفي بعض الآثار «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة».

* * *

عذاب النار:

عذاب النار ألوان وأشكال يشيب لها الولدان، فالخلود الأبدي للكافرين هو الحسرة، ويتوالى عليهم العذاب بلا انقطاع..

* فالجلود تحترق وتتجدد.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]

والجلد هو أصل الإحساس في الإنسان.

* وثياب أهل النار من جنسها وكذلك ظلالهم، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠].

وقال جل شأنه: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٦].

* وشراب أهل النار الحميم وماء الصديد، ورغم ذلك يشربونه شرب الإبل العطاش..

قال الله تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧].

وقال جل شأنه: ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾. [الواقعة: ٥٤، ٥٥]

والحميم الماء الحار، والهيم الإبل العطاش التي لا تروى.

* وطعام أهل النار الزقوم وهو شجر كريه منتن، والضريع هو الشوك المر..

قال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٦].

تصور شجرة تنبت وسط النار، كيف تكون؟

وتصور ثمرتها التي تشبه رءوس الشياطين في السواد والكآبة والرعب..

* يتعاقب على أهل النار من العذاب ما لا يخطر على عقل بشر من المقامع، والسلاسل، والكلوح [1] ولفح النيران للوجوه، والحجارة الموقدة، وكي الجنوب والظهور والجباه، والأخذ بالنواصي والأقدام.. إلى غير ذلك جزاء وفاقًا لإنكارهم وجود الله أو الشرك به أو تكذيب الأنبياء، أو الاستهزاء بالوحي والشرع المنزل أو النكران للبعث والحساب والجزاء..

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٠-٧٦].

* * *

(١) الكلوح: أن تتقلص الشفتان وتتباعدا عن الأسنان فهو تشويه للفم واللسان.

الملائكة

الملائكة: خلق من خلق الله تعالى مفطورون على الطاعة، ولا ينقطعون عن العبادة، قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ومن وصفهم بالذكورة فسق، ومن وصفهم بالأنوثة كفر؛ لمخالفته صريح القرآن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] والملائكة مخلوقون من النور، فقد جاء في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق الإنسان مما وصف لكم».

أصناف الملائكة:

منهم الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، ومنهم حملة العرش، قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، ومنهم الحفظة الذين يحفظون الإنسان من المكروه، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، ومنهم الكاتبون الذين يسجلون على العبد الحسنات والسيئات، وهما ملكان لكل إنسان، يوصف كل منهما بأنه رقيب أي حافظ، وعتيد أي حاضر، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ومنهم ملائكة الموت الذين يتولون قبض الأرواح عند الموت، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال جل شأنه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] ومنهم خزنة جنهم وعددهم تسعة عشر وهم الزبانية قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨]، وعلى رأس خزنة جهنم ملك يسمى «مالكًا»، قال تعالى:

﴿ **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون** ﴾ [الزخرف: ٧٧].

حكم الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة واجب وجزء أساسي من أجزاء الإيمان، وأصل من أصول الدين، قال تعالى: ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومنكر الملائكة كافر.. قال الله تعالى: ﴿ **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾ [البقرة: ٩٨]

* * *

الجن

الجن عالم غير منظور، ومخلوق قبل آدم، ومخلوق من نار قال تعالى: ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ [الحجر: ٢٧].

والجن يأكلون، وفي الحديث الشريف: «**لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنه زاد إخوانكم الجن**».

والجن يتناسلون، قال تعالى: ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾ [الكهف: ٥٠].

والجن مكلف بعبادة الله ولهم جزاء في الآخرة ثوابًا وعقابًا، قال تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهناك سورة في القرآن تسمى سورة الجن، وفي مفتتحها يقول الله تعالى: ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا (١) يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** ﴾ [الجن: ١]، وقد أثنى النبي ﷺ على مؤمني الجن لما قرأ سورة الرحمن على الصحابة فسكتوا فقال: «**إن الجن كانوا أحسن منكم، ما قرأت عليهم: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ [الرحمن: ١٣]، إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك يا رب نكذب فلك الحمد**».

* * *

نماذج للأسئلة

١- ما معنى السمعيات ؟ وما طريق ثبوتها ؟

٢- ما المقصود من سؤال القبر ؟ وما دليله؟ وما حكم الإيمان به؟

٣- أقم الدليل على نعيم القبر وعذابه من القرآن والسنة.

٤- ما الفرق بين البعث والنشر؟ وما الدليل عليها ؟

٥- ما أنواع الحشر في الآخرة ؟ وما الدليل عليهما؟

٦- ما الحساب ؟ وما دليله؟ وما حكم الإيمان به؟

٧- ما الميزان ؟ وما دليله ؟ وما حكم الإيمان به؟

٨- عرف الجنة والنار في اللغة وفي الاصطلاح، وهل هما موجودتان الآن؟ وما الدليل على خلودهما ؟

٩- بين عقيدة المسلم في الملائكة واذكر أصنافهم مؤيداً بالدليل.

١٠- اشرح حقيقة الجن وما ذكره القرآن بشأنهم.

* * *

مثال محلول : ما الفرق بين الملائكة والجن ؟

الملائكة	الجن
١- مخلوقون من نور.	مخلوقون من نار.
٢- غير مكلفين ولا يقع عليهم جزاء.	مكلفون ويحاسبون على ما عملوا.
٣- ليس لهم ذرية.	لهم أزواج وذرية.
٤- يوكل إليهم أعمال في الكون والكائنات.	لا علاقة لهم بأحداث الكون والكائنات.
٥- لديهم قدرة على التشكل بالأشكال الحسنة فقط.	لديهم قدرة على التشكل بالأشكال الحسنة والقبيحة.

•• القسم الرابع ••
طهارة القلب والسلوك

- كلمة الإسلام.
- الخوف والرجاء.
- التوبة.
- الشكر والصبر.
- الإيمان بالقضاء والقدر.
- الطريق إلى الله.
- دعاء الختام.

كلمة الإسلام

قال الناظم :

وكل ما جـــاء مـــن البشيـــر	من كل حكم صار كالضـروري[1]
وينطـــوي في كلمـــة الإسلام	ما قد مضـى من سـائر الأحكامِ
فأكـثـرَنْ مـــن ذكـرهـا بالأدبِ	ترقى بهذا الذكـر أعلـى الرتبِ

الشرح :

كلمة الإسلام هي الشـهادتان «لا إله إلا الله - محمـد رسول الله» والجملة الأولى منها تشمل الإلهيات بكل ما يتعلق بها من وجود الله عز وجل ووحدانيته وسائر صفـات الجلال والكمال والجمال، فـلا معبود بحق سـوى الله، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة . .

والجملة الثانيـة «محمد رسول الله» تشـمل النبوات والسمعيات فـإثبات نبوة سيدنا محمـد ﷺ إثبات لنبوة كافة الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام لأن حقيقة إيمان المسلم متوقفة على الإيمان بجميع الرسل بلا تفرقة . .

وكل ما أخبر به النبي ﷺ يجب اتباعه والالتـزام والتصديق به، فالعبادات والمعاملات نؤديها كمـا أداها رسول الله ونقف عند الحدود التي حددها لنا الشرع الحكيم . .

وقد تلقينا بالسمع والطاعة أيضًا ما جـاء عن المعصوم من أمور ما بعد الحياة وأحوال القيامة والمصير الإنساني . .

---

(١) الضروري من الأحـكام ما لا يحتـاج إلى دليل لظهوره ووضـوحه كـقولنا «السـماء فوقنـا، والأرض تحتنا، والواحد نصف الاثنين، فـهناك أحكام جاءت في الشـرع أصبحت واضحـة لا خفاء عليـها ويعلمهـا العالم والعامي فهذه تشبه الضروري فلا تحتاج إلى جدل حولها كفرضية الصلاة والصوم والزكاة والحج. . إلخ».

وهذه الأهميـة القصـوى لكلمة الإسلام تحـتم علينا أن نردد باستـمرار هذه الكلمة بالقلب واللسان . .

وفي ثواب ذكر كلمة التوحيد جاءت أحاديث كثيـرة صحيحة منها قول رسول الله ﷺ : **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قـدير، في يوم مائـة مرة كـانت له عدل عشـر رقاب، وكـتبـت له مائة حسنة، ومحيت مـنه مائة سيئـة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومـه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك».**

ولنعلم أن إنسـانًا يردد في اليوم كلمـة التوحـيد مـائة مرة هو إنسـان تائب يستـحضر رحمـة الله ويسعى لأداء الفرائض ويكف عن المحـارم ويتخلق بمكارم الأخلاق . .

* * *

الخوف والرجاء

قال الناظم :

وغلِّب الخـوف على الرجـاءِ   وسِـرْ لمـولاك بـلا تـنـاءِ[1]

الشرح :

حياة المسلم بين رجاء وخوف، فالرجاء يدفعه إلى الطاعة وثوابها، والخوف يمنعه من المعصية وعقابها..

والتوازن بين الرجاء والخوف هو شعار المؤمن، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩].

لكن في وقت الصحة والمال والجاه يغلب جانب الخوف حتى يعصم نفسه عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفي وقت المرض والضعف يغلب جانب الرجاء لأن الأسباب قد انقطعت ولا يبقى إلا رحمة الله وعفوه..

ولا يجوز للمؤمن أن يكون على حال واحدة غافلاً عن الأخرى لأن الذين يطمعون بلا خوف يفرطون في العبادات والمعاملات ويستمرئون المعصية بدعوى أن رحمة الله سبقت غضبه..

والذين تضيق بهم الأسباب ويصابون بالإحباط ويظلم عليهم السبيل، ينسون رحمة الله، ويصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]. وقول الله عز شأنه: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]. والكلمة الفاصلة هي قول الله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٥٠]. وقول الله سبحانه: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت: ٤٣]

---

(١) بلا تناء: أي بلا تباعد عن الصراط المستقيم.

التوبة

قال الناظم :

وجـدِّد التـوبـة للأوزارِ   لا تيأسَنْ من رحمـة الغفـارِ

الشرح :

جاء الأمر الإلهي بالتوبة عامًا في قول الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

وحقيقة التوبة الشرعية إقلاع عن المعصية، وندم على ما وقع، وعزم على عدم العود إليها، واستقامة على منهج الله.

فلا توبة مع الإصرار، فالذي يمارس المعصية ويقيم عليها لا توبة له.

وقد لا يكون الإقلاع عن المعصية توبة، وذلك كمن ترك المعصية لمعنى آخر غير الندم، فمن ترك الفاحشة لعدم استطاعته لها أو ترك الخمر لضررها وظل قلبه متعلقًا بها لا يعد تائبًا.. فإن التوبة عمل قلبي تصحبه حركة الجوارح في استقامة واحدة نحو مرضاة الله تعالى.

ولكي يمحو المرء آثار معصيته يحتاج إلى التزود بالتقوى فإن الحسنة تمحو السيئة، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤].

وإذا كانت المعصية متعلقة بحقوق العباد فلابد من رد المظالم إلى أهلها أو مسامحتهم فيها وقد سأل النبي ﷺ أصحابه يومًا فقال: «أتدرون مَنْ المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقْضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» رواه مسلم.

والإنسان مطالب بالتوبة من الذنب وإن تكرر، وكلما أحدث ذنبًا جدد توبة عسى الله أن يهديه، وفي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال: «**أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب. فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**» قال الراوي: لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة: «**اعمل ما شئت**».

وقد وهم بعض الناس فظنوا أن مثل هذا الحديث دعوة إلى استمراء المعصية، ولكن الحقيقة أن الحديث دعوة إلى التطهر المستمر حتى لا يظل الشيطان قابعًا في عقل المرء وقلبه، فإن البديل للتوبة المتجددة هو سبيل المعصية الدائم.

ولذا قيل للحسن: ألا يستحي أحدنا من ربه، يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود؟!

فقال: وَدَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار.

* * *

الشكر والصبر

قال الناظم:

وكن على آلائه شكورًا   وكن على بلائه صبورًا

الشرح:

الحياة قائمة على متقابلات من صحة أو مرض، ومن غنى أو فقر، ومن أولاد أو عقم، ومن شباب أو كهولة.. إلخ. تلك سنة جارية لا تتخلف، وليس هناك من ناموس يحكم هذه المتقابلات ويهب الناس السكينة حيالها إلا الإيمان بالله..

ذلك أن الحياة في منطق الإيمان مبنية على قانون عام هو الابتلاء والامتحان، فالله تعالى يبتلي الإنسان بالمال كما يبتليه بالفقر، ويبتليه بالقوة كما يبتليه بالضعف، قال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وشأن المؤمن أن يكون شاكرًا عند النعمة والعطاء، صابرًا في مواضع القضاء، وإذا ضاقت نفس المرء فما عليه إلا أن يلجأ إلى الله وحده، فهو سبحانه الرحمن الرحيم، وهو جل شأنه الحكيم الخبير، فما من عسر إلا ويعقبه يسر، وما من ضائقة إلا ولها فرج قريب، قال تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح: ٥، ٦].

ولن يغلب عسر يسرين، فإن أهل اللغة يقولون إن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينها وإن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غيرها، كما أن في التعبير بلفظ «مع» الدال على الصحبة ما يؤكد قرب اليسر المترقب كأنه مقارن للعسر..

وفي صحيح الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**».

* * *

الإيمان بالقضاء والقدر

قال الناظم :

وكل أمر بالقضاء والقدر   وكل مقدور فما عنه مفرْ

فكن له مُسَلِّمًا كي تسلما   واتبع سبيل الناسكين العلما

الشرح :

يجب الإيمان بقضاء الله وقدره الأزلي في شئون الكون والكائنات وأحداث الوجود بأجمعه، فالله يعلمها ويقضي بها ويتوالى وجودها بقدرة الله تبعًا لإرادته جل شأنه. .

قال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

ولن يحاسب إنسان على ما قدره الله عليه من صحة أو مرض، ومن غنى أو فقر، أو أولاد أو عقم. . إلخ. وإنما يحاسب على تصرفاته حيالها فهل انتفع بصحته في طاعة الله أو استخدمها في معصية الله وهكذا . .

فالقضاء والقدر لا علاقة له بالتكليف الشرعي، والإنسان وحده هو المسئول عن حمل الأمانة وتطبيق المنهج الإلهي، وإذا استثنينا التكليف فالإيمان بالقضاء والقدرة يمنح الإنسان الطمأنينة ويشرح صدره بحكمة الله ويجعله يرضى بما قسم الله، فلا ييأس ولا يقنط ويظل موصول الأمل في وجه الله الكريم. .

وفي حديث رواه الترمذي قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

الطريق إلى الله

قال الناظم :

وخلص القلب من الأغيار   بالجد والقيام في الأسحار

والفكر والذكر على الدوام   مجتنبًا لسائر الآثام

مراقبًا لله في الأحوال   لترتقي معالم الكمال

الشرح :

يتحقق صفاء القلب بخلوه من الحقد والحسد والمكر السيء، والتنزه عن حطام الدنيا ومتاعها وزينتها وزخرفها حتى لا يقال للمرء يوم القيامة: ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

كما يتحقق بمجاهدة النفس والشيطان والترقي من النفس الأمارة بالسوء، إلى النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على تقصيره في حق الله، إلى النفس المطمئنة التي تنادي من قبل المولى سبحانه: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧ : ٣٠] .

ويستديم المرء صفاء قلبه بالفكر والذكر وقيام الليل، فالفكر في آيات الأنفس والآفاق، والذكر باستحضار الجلال والجمال والكمال الإلهي باللسان والقلب، وقيام الليل فإنه دأب الصالحين. .

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [آل عمران :١٩٠- ١٩١] .

وقال جل شأنه : ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ .

[السجدة:١٦-١٧]

والذكر اللساني مطلوب في كل وقت وحين، وكان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه . رواه مسلم.

ومع كثرة الذكر يصفو القلب ويتلألأ ليصل إلى هذه المرتبة قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٣٥].

ونقل الإمام ابن كثير في تفسيره عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ** ﴾ قال: هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به.

* * *

دعاء الختام

قال الناظم:

وقل بذل رب لا تقطعني ... عنك بقاطع ولا تحرمني

من سرك الأبهى المزيل للعمى ... واختم بخير يا رحيم الرحما

والحمد لله على الإتمام ... وأفضل الصلاة والسلام

على النبي الهاشمي الخاتم ... وآله وصحبه الأكارم

الشرح:

ختم الناظم - رحمه الله تعالى - منظومته متضرعًا إلى الله جل شأنه أن يمده بقربه ووده، ويصرف عنه شواغل الحياة ومآثم الأعمال، وأن يمنحه خاتمة الخير وهي الموت على الإيمان الكامل..

ثم حمد الله تعالى على تمام نعمته في إكمال منظومته، فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأتبع ذلك بالصلاة والتسليم على سيدنا محمد النبي الهاشمي الخاتم..

فالهاشمي نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف، والد عبد المطلب، واسمه «عمرو» وأطلق عليه «هاشم» لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في أوقات الشدة والقحط، وهو أول من سن رحلتي الشتاء والصيف.

والخاتم الذي ختم الله به الرسالات وأكمل به الإسلام وجعل رسالته عامة إلى الإنس والجن، خالدة إلى يوم القيامة..

ولم ينس الناظم أن يعم بالصلاة والسلام آل بيت النبي ﷺ وصحابته الكرام البررة.

* * *

نماذج للأسئلة

١- ما كلمة الإسلام ؟ وكيف تضمنت عقائد الدين؟

٢- كيف يحقق المسلم في نفسه الخوف من الله والرجاء فيه؟ ومتى يغلب أحدهما على الآخر ؟ ولماذا؟

٣- ما حقيقة التوبة الشرعية؟ وماذا يفعل المسلم عندما يكرر الذنب بعد التوبة؟ وما الدليل علي ما تقول؟

٤- متى يشكر الإنسان ربه؟ ومتى يصبر؟

٥- بيّن أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم.

٦- كيف يتحقق صفاء القلب؟ وما أثر الذكر اللساني في هذا الصفاء؟

* * *

المؤلف في سطور

دكتور / محمد سيد أحمد المسير

- أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر .

- عمل أستاذًا مشاركًا. ثم رئيسًا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلية التربية - فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ -١٩٨٧م.

- أعير أستاذًا في كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٩٣ - ١٩٩٨م.

- شارك في عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف.

- شارك في عضوية جمعية الدراسات الإسلامية بالزمالك.

- يشارك في عضوية الجمعية الفلسفية المصرية.

- شارك في لجان الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية.

- حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- شارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات الفكرية المحلية والدولية في كل من : القاهرة - مكة المكرمة - مسقط - أبو ظبي - بغداد - الكويت - طهران - موسكو.

* * *

كتب للمؤلف

• في العقيدة :

١- التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية.
٢- الإلهيات في العقيدة الإسلامية. «مكتبة الإيمان».
٣- الشفاعة في الإسلام. «مطبعة الكيلاني».
٤- النبوة المحمدية : دلائلها وخصائصها . «دار الاعتصام».
٥- الرسالة والرسل في العقيدة الإسلامية. «مكتبة الصفا».
٦- تيسير العقيدة بشرح الخريدة. «مكتبة الصفا»

• في الفلسفة والأخلاق :

٧- الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة. «دار المعارف».
٨- المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه. «دار المعارف».
٩- قضايا إنسانية في الفكر الديني والفلسفي. «مكتبة الصفا».
١٠- قيم أخلاقية من القرآن والسنة. «مكتبة الصفا».
١١- قضايا الفكر الإسلامي المعاصر. «مكتبة نهضة مصر».

• في الأديان :

١٢- المدخل لدراسة الأديان. «دار الندى».
١٣- أصول النصرانية في الميزان. «مكتبة الصفا».
١٤- أوروبا والنصرانية.
١٥- المسيح ورسالته في القرآن. «مكتبة الصفا».
١٦- عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني. «دار الوفاء».

• في الفرق الإسلامية :

١٧- مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية. «مكتبة النهضة المصرية».
١٨- قضية التكفير في الفكر الإسلامي.

• في السيرة النبوية والحديث الشريف :

١٩- الرسول في رمضان. «مكتبة الصفا».
٢٠- الرسول حول الكعبة. «مكتبة الصفا».
٢١- الرسول وقضايا المجتمع. «مكتبة الصفا».
٢٢- الرسول والموافقات. «المؤسسة العربية الحديثة».
٢٣- وعندئذ قال الرسول. «دار المعارف».
٢٤- أيسر البيان في شرح الحكمة النبوية.

• في الشريعة الإسلامية :

٢٥- محاورة تطبيق الشريعة. «المؤسسة العربية الحديثة».
٢٦- نحو دستور إسلامي. «دار الندى».
٢٧- أخلاق الأسرة المسلمة. «دار الندى».
٢٨- العبادات في الإسلام. «نهضة مصر».

• في التحقيق:

أ. مؤلفات فضيلة الدكتور / سيد أحمد رمضان المسير - رحمه الله - :

٢٩- السنة مع القرآن. «دار الندى».
٣٠- السنة المطهرة. «المؤسسة العربية الحديثة».
٣١- إلزام القرآن للماديين والمليين. «المؤسسة العربية الحديثة».

٣٢- دراسات قرآنية.

ب- ٣٣- تحقيق كتاب «منهج الفرقان في علوم القرآن» لفضيلة الشيخ محمد علي سلامة.
«نهضة مصر».

• كتب نفدت وتضمنتها كتب أخرى:

٣٤- في نور العقيدة الإسلامية.

٣٥- أدب الحديث عن الله.

٣٦- علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية.

٣٧- الحوار بين الجماعات الإسلامية.

٣٨- الرسول والوحي.

* * *

الموضوعات

المبحث الثالث : تعلق صفات المعاني

المبحث الرابع



كتاب
الطب النبوي
الإمام البخاري
موسوعة
الألقاب والكنى
كتاب
فضائل الصحابة
الإمام البخاري
قاموس المعالجين
بالآيات القرآنية
والأعشاب
شعبان أحمد صالح
الموسوعة
العجيبة
إسلاميات
أحمد عبد العال الطهطاوي
آفات
اللسان
سعيد بن وهف القحطاني
أبناء
الصحابة
نجوى حسين عبد العزيز
منزلة
الصلاة